

التضاد في العقيدة

لأستاذ:

محمد باقر السجودي

تعريب:

الدكتور نور محمد جمعه

بطاقة الكتاب

عنوان الكتاب بالفارسية:	تضاد در عقیده
عنوان ترجمة الكتاب إلى العربية:	التضاد في العقيدة
المؤلف:	محمد باقر سجودي
نقله إلى العربية:	الدكتور نور محمد جمعه
الناشر:	دار العقيدة للنشر والتوزيع (www.aqideh.com)
سنة النشر:	١٤٣٥ هـ. ق / ٢٠١٤ م

مجموعة الموحدين
www.mowahedin.com
contact@mowahedin.com

الإشراف العلمي والإعداد الفني:

الفهرس

- ١..... مقدمة المشروع
- ٥..... مقدمة الناشر
- ٩..... النافذة
- ١١..... المقدمة
- ١٥..... (١) المنافق والفرص
- ٢١..... (٢) لماذا سكت علي رضي الله عنه
- ٣١..... (٣) ماذا كانت أهداف الغاصبين؟
- ٣٩..... (٤) الصحابة وأيام الضلالة
- ٤٩..... (٥) لماذا لم يختار الرسول ﷺ خليفته من بعده؟
- ٥٧..... (٦) لماذا استعجلوا؟!
- ٦٣..... (٧) القرآن وأعداء الصحابة
- ٦٩..... (٨) القرآن والصحابة
- ٦٩..... ١. الصادقون
- ٦٩..... ٢. إن الله بالصحابة رؤوف رحيم
- ٧١..... ٣. كانوا خير أمة أخرجت للناس
- ٧١..... ٤. أولئك هم الراشدون
- ٧٣..... ٥. كانوا أنصار الرسول ﷺ
- ٧٣..... ٦. الملائكة نزلت لمساعدة الصحابة
- ٧٣..... ٧. لا يمسهم سوء
- ٧٤..... ٨. أولئك هم المؤمنون حقا
- ٧٤..... ٩. أولئك هم الفائزون

١٠. بشرهم الله بالجنة وبرضوان منه ورحمة..... ٧٥
١١. كانوا من المتقين..... ٧٥
١٢. رضي الله عن صحابة الرسول ﷺ..... ٧٥
١٣. هم أفضل منا لا محالة..... ٧٦
- (٩) صفات المنافقين..... ٧٧
١. لم يكن المنافقون يخرجون إلى الجهاد..... ٧٨
٢. يسعون للتخريب والفتنة..... ٧٩
٣. عدم الرضا بأحكام الرسول ﷺ..... ٨٠
٤. المنافق ذليل حقير..... ٨٠
٥. لم يخرجوا في قتال الروم..... ٨٠
- (١٠) المعارك بين الصحابة..... ٨٣
- (١١) من هم عشاق أهل بيت الرسول ﷺ؟!..... ٩٣
١. أزواج الرسول ﷺ..... ٩٣
٢. بنات الرسول ﷺ..... ١٠١
- (١٢) في ظلال سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه..... ١٠٥
- (١٣) لا يكتمل إيمان المرء ما لم يؤمن بالصحابة!!..... ١١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المشروع

الحمد لله الذي أنعم على عباده بنعمة الإسلام، واختار منهم أفضل عباده وأطهرهم لإبلاغ رسالة الحرية والتحرُّر من كل عبودية سوى عبودية الله، والصلاة والسلام على أهل بيتِ نبي المحبة والرحمة الكرام الأَطهار، وعلى صحبه الأَجلاء الأبرار، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن الدينَ الذي نفخر به اليوم ثمرةٌ لجهاد رجال الله وتضحياتهم؛ أولئك الذين كانت قلوبهم مُتِمِّمَةً بحب الله، وألسنتهم لَهجَةً بذكر الله، وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل حفظ رسالات الله ونشرها، واضعين أرواحهم وأموالهم وأعراضهم على أكفهم ليقدموها رخيصةً في سبيل صون كلمة الله سبحانه وسنة نبيه الكريم، لا تأخذهم في ذلك لومة لائم، ولا يخشون إلا الله. أجل، هكذا قامت شجرةُ الإسلامِ العزيز واستقرَّت ضاربةً بجذورها أعماق الأرض، بالغةً بفروعها وثمارها عنان السماء، مُعليةً كلمة التوحيد والمساواة.

ولكن في أثناء ذلك، تناولت على قامة الإسلام يد أعدائه الألداء، وظلم علماء السوء وتحريف المتعبدين الجهلة، فشوهوا صورة الإسلام الناصعة بشركهم وغلوهم وخرافاتهم وأكاذيبهم، إلى درجة أن تلك الأكاذيب التي كان ينشرها المتاجرون بالدين غطَّت وجه الإسلام الناصع. وقد اشتدَّ هذا المنحى من الابتعاد عن حقائق الدين وعن سنة رسول الله الحسنة، بمجيء الصفويين إلى حكم إيران في القرن التاسع الهجري ثم بقيام الجمهورية الإسلامية في العصر الحاضر، حتى أصبحت المساجد اليوم محلاً لِطُمِ الصدور وإقامة المآتم ومجالس العزاء،

وحلّت الأحاديث الموضوعة المكذوبة محلّ سنة النبي ﷺ، وأصبح المدّاحون الجهلاء الخدّاعون للعوام، هم الناطقون الرسميون باسم الدين؛ وأصبح التفسير بالرأي المذموم والروايات الموضوعة المختلقة مستمسكًا للفرقة بين الشيعة والسنة، ولم يدروا للأسف من الذي سينتفع ويستفيد من هذه التفرقة المقيتة؟

إن دعوة التقريب بين المذاهب الإسلامية التي تُرفع اليوم في إيران، ليست سوى ضجّة إعلامية ودعاية سياسية واسعة، القصد منها جذب الأنظار وإعطاء صورة جيدة عن حكومة إيران الشيعية في العالم. إن نظرةً إلى قادة الشيعة في إيران وزعماءهم الدينيين ومراجعهم تدل بوضوح على هذه الحقيقة وهي أن التقريب بين المذاهب الإسلامية والأخوة والمحبة الدينية بين المسلمين، على منهج حُكّام إيران الحاليين، ليست سوى رؤيا وخيالٍ وشعارات برّاقة لا حقيقة لها على أرض الواقع.

في هذا الخِصَمّ نهض أفراد مؤمنون موحدون من وسط مجتمع الشيعة الإمامية في إيران، دعوا إلى النقد الذاتي وإعادة النظر في العقائد والممارسات الشيعية الموروثة، ونبذ البدع الطارئة والخرافات الدخيلة، وإصلاح مذهب العترة النبوية بإزالة ما تراكم فوق وجهه الناصع منذ العصور القديمة من طبقات كثيفة من غبار العقائد الغالية والأعمال الشركية والبدعية، والأحاديث الخرافية والآثار والكتب الموضوعة، والعودة به إلى نقائه الأصلي الذي يتجلى في منابع الإسلام الأصيلة: القرآن الكريم وما وافقه من الصحيح المقطوع به من السنة المحمدية الشريفة على صاحبها آلاف التحية والسلام وما أيدهما من صحيح هدي أئمة العترة الطاهرة وسيرتهم؛ وشمر هؤلاء عن ساعد الجدّ وأطلقوا العنان لأقلامهم وخطبهم ومحاضراتهم لإزالة صدأ الشرك عن معدن التوحيد الخالص، ولسان حالهم يقول: «انهض أيها المسلم وامح هذه الخرافات والخزعبلات عن وجه الدين، واقض على هذا الشرك الذي يتظاهر باسم التقوى، وأعلن التوحيد وحطّم الأصنام».

لقد اعتبر «حيدر علي قلمداران القمي» - وهو أحد أفراد تلك المجموعة من الموحّدين المصلحين - في كتابه «طريق الاتحاد»، أن سبب هذه التفرقة هو جهل المسلمين بكتاب الله وسيرة نبيه، وسعى من خلال كشف الجذور الأخرى لتفترق الفرق الإسلامية، إلى التقدّم خطوات مؤثرة

نحو التقريب الحقيقي بين المذاهب. ولا ريب أن جهود علماء الإسلام الآخرين مثل آية الله السيد أبو الفضل ابن الرضا البرقي، والسيد مصطفى الحسيني الطباطبائي، وآية الله شريعت سنكلجي، ويوسف شعار وكثيرين آخرين من أمثال هؤلاء المجاهدين في سبيل الحق، أسوة ونبراس لكل باحث عن الحق ومتطلع إلى جوهر الدين، كي يخطوا هم بدورهم أيضًا خطوات مؤثرة في طريق البحث والتحقيق التوحيدي، مُتَّبِعِينَ في ذلك أسلوب التحقيق الديني وتمحيص الادِّعاءات الدينية على ضوء التعاليم الأصيلة للقرآن والسنة، ليعينوا ويرشدوا من ضلوا الطريق وتقاذفتهم أمواج الشرك والخرافات والأباطيل، ليصلوا بهم إلى بر أمان التوحيد والدين الحق.

إن المساعي الحثيثة التي لم تعرف الكلل لِرُؤَادِ التوحيد هؤلاء هِيَ رسالةٌ تقع مسؤوليتها على عاتق الآخرين أيضًا، الذين يشاهدون المشاكل الدينية لمجتمعنا، ويرون ابتعاد المسلمين عن تعاليم الإسلام الحية، لاسيما في إيران.

هذا ولا يفوتنا أن نُذَكِّرَ هنا بأن هؤلاء المصلحين الذين نقوم بنشر كتبهم اليوم قد مروا خلال تحوُّلهم عن مذهبهم الإمامي القديم بمراحل متعددة، واكتشفوا بطلان العقائد الشيعية الإمامية الخاصة - كالإمامة بمفهومها الشيعي والعصمة والرجعة والغيبة و... وكالموقف مما شجر بين الصحابة وغير ذلك - بشكل متدرِّج وعلى مراحل، لذا فلا عجب أن نجد في بعض كتبهم التي ألفوها في بداية تحوُّلهم بعض الآثار والرسوبات من تلك العقائد القديمة لكن كتبهم التالية تَحَلَّصَتْ بل نقدت بشدة كل تلك العقائد المغالية واقتربوا للغاية بل عانقوا العقيدة الإسلامية الصافية والتوحيدية الخالصة.

الأهداف

تُمَثِّلُ الكُتُبُ التي بين أيديكم اليوم سعيًا لنشر معارف الدين وتقديرًا لمجاهدات رجال الله التي لم تعرف الكلل. إن الهدف من نشر هذه المجموعة من الكتب هو:

- ١- إمكانية تنظيم ونشر آثار الموحِّدين بصورة إلكترونية على صفحات الإنترنت، وضمن أفراس مضغوطة، و بصورة كتب مطبوعة، لتهيئة الأرضية اللازمة لتعرُّف المجتمع على أفكارهم التوحيدية وآرائهم الإصلاحية، لتأمين نقل قيم الدين الأصيلة إلى الأجيال اللاحقة.

٢- التعريف بآثار هؤلاء العلماء الموحّدين وأفكارهم يشكّل مشعلاً يهدي الأبحاث التوحيدية وينير درب لطلاب الحقيقة ويقدم نموذجاً يُحتذى لمجتمع علماء إيران.

٣- هذه الكتب تحت المجتمع الديني في إيران الذي اعتاد التقليد المحض، وتصديق كل ما يقوله رجال الدين دون تفكير، والذي يتمحور حول المراجع ويجب المدّاحين، إلى التفكير في أفكارهم الدينية، ويدعوهم إلى استبدال ثقافة التقليد بثقافة التوحيد، ويريهم كيف نهض من بطن الشيعة الغلاة الخرافيين، رجال أدركوا نور التوحيد اعتماداً على كتاب الله وسنة رسوله.

٤- إن نشر آثار هؤلاء الموحّدين الأطهار وأفكارهم، ينقذ ثمرات أبحاثهم الخالصة من مقصّ الرقيب ومن تغييب قادة الدين والثقافة في إيران لهذه الآثار القيّمة والتعظيم عليها، كما أن ترجمة هذه الآثار القيّمة لسائر اللغات يُعرّف الأمة الإسلامية بآراء الموحدين المسلمين في إيران وبأفكارهم النيرة.

آفاق المستقبل

لا شك أنه لا يمكن الوصول إلى مجتمع خالٍ تماماً من الخرافات والبدع وإلى المدينة الفاضلة التي تتحقق فيها الطمأنينة في ظلّ رضا الله سبحانه وتعالى، إلا باتّباع التعاليم النقيّة الأصيلة للقرآن الكريم وسنة نبي الرحمة والرأفة ﷺ. إن هدف القائمين على نشر مجموعة آثار الموحّدين هو التعريف بآثار هؤلاء المجاهدين العلميين الكبار، كي تكون معرفة الفضائل الدينية والعلمية لهؤلاء الأعماء، أرضية مناسبة لنموّ المجتمع التوحيدي والقرآني في إيران وقوّته، وذلك لنيل رضا الخالق وسعادة المخلوق.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذه الكلمات المختصرة وسيلة لعلوّ درجات أولئك الأعماء، وأن يمنّ علينا بالعمو.



مقدمة الناشر

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة العبودية له، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وآخر رسل الله محمد المصطفى وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار.

وبعد، فقد كان المسلمون طول القرون المنصرمة سبّاقين للآخرين في تحصيل العلم والمعرفة وتعلّم العلوم المختلفة، وذلك ببركة تعاليم الإسلام العزيز وأتباعاً منهم لكلام رسول الله ﷺ، حتى صار العلماء المسلمون في أواخر فترة الخلافة العباسية سادة العلوم في عصرهم، وتحول بيت الحكمة الذي تأسس في بغداد في النصف الثاني من القرن الهجري الثاني في عهد خلافة هارون الرشيد العباسي، إلى أكبر مؤسسة علمية وبحثية في العالم، ولا يزال بيت الحكمة يُعتبر مظهرًا من مظاهر الحضارة الإسلامية وذلك بفضل نشاطاته الثقافية والعلمية في المجالات المختلفة من تأليف وترجمة واستنساخ وأبحاث متنوعة في المجالات العملية المختلفة سواء الطب والهندسة أم العلوم الإنسانية.

ولا شك أن هذه القوة العلمية للمسلمين كانت بمثابة شوكة في أعين أعداء الإسلام، لذلك سعوا من خلال بثّ أسباب الفرقة والاختلاف بين المسلمين إلى تحطيم عظمة الإسلام هذه وسؤدده الذي يعود الفضل فيه إلى وحدة المسلمين وتماسكهم والأخوة السائدة بينهم، فأثار أعداء الإسلام عواصف النزاعات والتفرقة بين المسلمين كي يجربوا جمال الحق عن أبصارهم، ويخفوا شمس الدين المشعة خلف غيوم البدع والخرافات. وكما يقول الشيخ سعدي الشيرازي: الحقيقة مكان مزيّن لكن الهوى والرغبات أثارا الغبار فوقه

ألا ترى أن كل مكان اعتلاه الغبار لا يقع عليه النظر ولو كان الرجل بصيرًا
إن المساعي المخطط لها وعلى المدى الطويل لأعداء الإسلام، لأجل إغلاق أعين المسلمين
عن حقيقة الدين وإضعاف المسلمين عن تعلّم معارف الدين ونشرها، وإبعادهم عن سنة النبي
الأصيلة الهادية، أدت إلى حدوث فجوة عميقة واختلاف كبير في أمة الإسلام وأصبح أبناء
الإسلام اليوم يعانون بشدّة من تبعات هذه الفجوة وآثارها المشؤومة.

وبموازاة مساعي أعداء نبي الإسلام ﷺ العدائية الرامية إلى تحريف تعاليم الإسلام
وتشويهها وإدخال البدع المختلفة في الدين، أدرك أشخاصٌ مؤمنون أظهار شفيقون هذا الخطر،
ونفضوا مشمّرين عن ساعد الجد والجهاد المتواصل لإحياء معالم الإسلام والسنة النبوية
الأصيلة، وتناولوا بأيديهم - بشجاعة منقطعة النظير - أقلامهم وأخذوا يكتبون ويؤلفون في نشر
ثقافة الإسلام الأصيلة والعقائد الإسلامية الصحيحة النقية بين أوساط الشيعة عبّاد الخرافات،
وصدحوا بينهم بنداء التوحيد بصوت عالٍ أيقظ المتأجرين بالدين والبدع من نوم غفلتهم
مذعورين! لقد ضحى هؤلاء الموحدون الطالبون للحق والحقيقة بمصالحهم الشخصية فداء
للحقيقة، وقدموا أرواحهم في هذا السبيل هديةً رخيصةً للحق تعالى، وصاروا عن حق مصداقًا
لقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس/62].

إن ما جاء في هذه المجموعة ليس سوى غيضٍ من فيض المعارف الإلهية، ومُتَّخَبٍ من آثار
الموحدين الطالبين لله تعالى الذين كانوا ينتمون في بداية أمرهم لطائفة الشيعة. لقد أشرق نور الله
في صدورهم، وصار التوحيد نبراس حياتهم المباركة. لقد تم تحرك هؤلاء الأفراد الذين كانوا
جميعًا في بداية أمرهم من الطراز الأول من علماء الشيعة في إيران، في مسيرتهم التحولية من
مذهبهم القديم، خطوةً خطوةً؛ بمعنى أن نظرتهم إلى المسائل العقائدية لم تتحول بشكل فجائي
مرةً واحدةً، بل حصّل هذا التحول بمرور الزمان وعلى إثر المطالعة والدراسة المتأنية والتواصل
مع من يوافقهم في أفكارهم، لذا من الطبيعي أن لا تنطبق بعض رؤى وأفكار هؤلاء
الإصلاحيين في بعض مراحل حياتهم وكتاباتهم، مع عقائد أهل السنة والجماعة واتجاهاتهم
الفكرية بشكل كامل؛ لكن رغم ذلك قمنا بنشر هذه المؤلفات كما هي نظرًا لأهميتها في هداية

شيعة إيران وغيرهم من الناطقين باللغة الفارسية. كما أنه من الجدير بالذكر أن الرؤى والمواقف الفكرية المطروحة في هذه الكتب، لا تنطبق بالضرورة مع رؤى الناشر والقائمين على نشر هذه المجموعة من الكتب، هذا على الرغم من أن هذه الكتب تمثل بلا ريب نفحةً من نفحات الحق و نورًا من جانب الله هداية طالبي الحقيقة البعيدين عن العصبية والظنون التاريخية الطائفية.

إن النقطة الجديرة بالتأمل هي أنه للوقوف بشكل صحيح على رؤى وأفكار هؤلاء الأفراد، لا يمكن الاكتفاء بقراءة مجلد واحد من آثارهم؛ بل لا بد من قراءة حياتهم بشكل كامل، كي يتم التعرف بشكل كامل على كيفية تحولهم الفكري، ودوافعه وعوامله. فعلى سبيل المثال، ألف آية الله السيد أبو الفضل البرقي في الفترة الأولى من بداية تحوله الفكري كتابًا بعنوان «درسى از ولايت» أي «درسٌ حول الولاية»، بحث فيه موضوع الأئمة وادعاء الشيعة حول ولايتهم وإمامتهم وراثتهم المباشرة للمسلمين بعد نبي الله ﷺ. واعتبر أن عدد الأئمة ١٢ إمامًا، مصححًا بذلك الاعتقاد بوجود محمد بن الحسن العسكري وحياته حتى الآن، بوصفه الإمام الثاني عشر. لكن المؤلف نفسه ألف بعد عدة سنوات كتابًا باسم «تحقيق جدي في أحاديث المهدي» ووضع تحت تصرف القراء نتائج بحثه التي توصل إليها في هذا المجال، وهي أن جميع الأخبار والروايات التاريخية المتعلقة بولادة ووجود المهدي إمام الزمان، روايات وأخبار موضوعة وكاذبة. من هذا المثال ومن أمثلة مشابهة أخرى يتبين أن أفضل طريق لمعرفة المسيرة التحولية لأفكار هؤلاء الموحدين وآثارهم هي قراءة مجموعة كتاباتهم بشكل كامل، مع الأخذ بعين الاعتبار تقدم كل مؤلف من مؤلفاتهم أو تأخره زمنيًا.

نأمل أن تكون آثار هؤلاء المؤلفين الكبار ومساعي القائمين على نشرها، سببًا للعودة إلى مسيرة الأمن الإلهية وعبادة الحق سبحانه وتعالى الخالصة.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذه الكلمات المختصرة وسيلة لغفران ذنوبنا وأن يساعدنا إذا وقعنا في خطأ أو زلل، وأن يرحم أرواح أولئك المؤلفين الأعزّاء ويجعلهم في جوار رحمته، إنه رؤوف رحيم، والحمد لله رب العالمين.

النافذة

- ١- هل ارتد الصحابة كلهم - ما عدا أربعة - بعد وفاة الرسول ﷺ؟
 - ٢- هل اغتصب الصحابة حق الولاية من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟ ما الدواعي التي دعت إلى هذه المؤامرة؟
 - ٣- وإذا لم تكن هناك مؤامرة قد دبرت بليل بهيم، فلم الاستعجال في اختيار من يخلف الرسول ﷺ؟
 - ٤- من هم أهل بيت الرسول ﷺ؟ ومن هم عشاق أهل البيت وأنصارهم؟
- أجوبة يجيب عليها القرآن الكريم؛ لسان السماء الصادق الذي لا ريب فيه ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ من خلال سطور هذا الكتاب الذي لا يقصد الإهانة أو الطعن في أحد من الناس، ولا يحاول انتقاص فئة أو مذهب من المذاهب، فالمؤلف - الأستاذ محمد باقر سجودي حفظه الله - وُلد من أبوين شيعيين في إيران، ونشأ وترعرع في رحاب المجتمع الشيعي المحافظ، لكنه أبى أن يغمض عيون صدره، وأبى أن يعطل عقله، وأبى أن يسلم زمام عقله لكل من هب ودب، لقد احترم عقله وفؤاده، واستمع إلى كلام ربه؛ فهداه إلى الصراط المستقيم والطريق السوي، وهذه هي رسالة القرآن الكريم.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ستكون فتنة، والمخرج منها؛ كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا تنقضى

عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم».

المقدمة

إن كانت فكرة التشيع لأهل بيت الرسول ﷺ، فكرة أصيلة في مجريات التاريخ الإسلامي، فقد كان التشيع بمعناه الصفوي السائد في التاريخ المعاصر من نتاج التطور التاريخي في ظل السياسات السلبيه والأحقاد العنصرية والشعبوية والنزعات السلطوية، فلم يكن للتاريخ الإسلامي في فجر دعوته عهد بما ابتدعه الفكر الشيعي في الأزمان المتأخرة، إلى أن افترق أصحابه عن المجرى العام للفكر الإسلامي، ومعنى الأمة الواحدة، وقد قصدوا ذلك.

وليزيدوا الفرقة أكثر فأكثر سموا الأمة الإسلامية بـ«العامه»، وجعلوا خلافها في كل الجزئيات والكليات شرعةً ومنهاجًا وأصولاً لفقهم مذهبهم!

وقد وصلوا إلى ما راموه، فصار للأمة جناح جديد سمي بالأقلية الشيعية، ومن ثم دعيت الجناح العام بأهل السنة والجماعة، وكأن الأمة متشكلة من حزبين أو فريقين اثنين ليتناطحا كلما دبرت لهما المكاييد وراء البحار أو الثغور.

وبذلك توقف المد الإسلامي والفتوحات الإسلامية وانشغل المسلمون بالخلافات الداخلية، إلى درجة أنه تأسف أحد المستشرقين الغربيين قائلاً: لو لا الصفويون في إيران لكنا نقرأ القرآن اليوم في أوروبا!!

لم يكن موقف أهل السنة تجاه الشيعة في العصر الحديث موقفاً إيجابياً في كل جوانبه؛ وذلك لأن المسلمين فقدوا القيادة الموحدة وافترقوا إلى فئات وأحزاب، وصار لكل جماعة منهم إماماً، وبقي الجميع بلا إمام، كالشياه الضالة بدون راع يرعاهم في عصر تسوده القوى الاستعمارية الشرسة، ومن ثم انكمش الفكر الدعوي والإصلاحي لدى عامة المسلمين وتحول إلى إصلاح مجتمعاتهم المتهالكة، وإلى الدعوة الفردية ثم الجماعية في نطاق ضيق جداً لا يكاد يتجاوز حدود القطر الواحد.

وكان الشيعة أحسن حظاً يوم أن وجدوا سلطة وحكومة في إيران، فكان باستطاعتهم أن

يظهروا من خلالها شخصية جديدة لهم. فما إن استقرت حكومتهم في إيران إلا وعادوا إلى سيرتهم الأولى أيام الدولة الصفوية التي ضربت مثلاً سيئاً في تمزيق الأمة وتحريف المذهب الشيعي من الروح العلوي والسني إلى الروح الصفوي..

وقد ألف الدكتور علي شريعتي - وهو من علماء الشيعة المعاصرين ومن أصحاب الدعوة إلى العودة إلى منابع التشيع الأصيلة - كتاباً سماه «التشيع العلوي والتشيع الصفوي»، وصف فيه التشيع الصفوي بأنه: فرقة أو مذهب ضد السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام يريد وضع العثرات والسدود في مواجهة السنة، فهو مذهب للبدعة، وأنه عمل أكثر من أي شيء آخر للقضاء على روح التشيع وثقافته، وأنه مشيع الأكرثية في إيران والمسيطر على الأذهان. وعرفه بأنه: مذهب يمهد الطريق أمام الهروب من المسؤوليات، وأنه مذهب تجليد القرآن وتذهيبه وإكباره وليس البحث في القرآن وتفسيره.. إنه مذهب أعلق القرآن لأن فتحه أمر عسير وموجد للمسئوليات!!

وقال عن علماء الشيعة: إنهم يبدلون الأشياء المشتركة إلى اختلافات عن طريق التوجيهات والتأويلات المنحرفة والمغرضة، ويقومون القرآن على أنه كتاب مليء بالشتائم الموجهة للخلفاء تحت نقاب الرمز والكناية والمجاز والاستعارة!

و أخيراً يقول: إني أخجل من الاستمرار في هذا الحديث ولست أستطيع ذكر ما قالوه في الدعوة السوقية عن شخصيات الأئمة فحسب، بل لا أستطيع ذكر ما جاء في الكتب المعروفة التي تعتبر مصادر الدين ومراجع الفتوى.

ويناشدُ فقهاء التشيع العلوي قائلاً: من يحملون الشعارات الخاصة بالتشيع الصفوي إنما يحطمون الشيعة ويفضحوننا أمام العالم الإسلامي ويضيعون كل التضحيات والمفاخر الشيعية ويشوهون وجوه علماء الشيعة الحقيقيين ومشاعر المسلمين وأفكارهم.

استطاع الصفويون أن يمسخوا روح التشيع الأصيل الذي كان يسعى لوحدة المسلمين قبل كل شيء؛ فعندما صالح الإمام الحسن معاوية سمي ذلك العام بـ«عام الجماعة»، وعندما قال له بعض مشيري الفتنة: يا مذل المؤمنين! أجابهم: «بل أنا معز المؤمنين».

فليس التشيع السني الأصل تشيع التحريف والوضع والبدعة والتفرقة وتكفير الصحابة والمسلمين، ولا تشيع الشرك عن طريق التفويض وعلم الغيب وإحياء الموتى والبداء، ولا تشيع: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية! تلك الصورة القائمة التي صنعها الصفويون.

تلك الصورة التي جعلت بعض المتحمسين من أهل السنة ينزلون الساحة بنفس الحربة ويعاملون عامة الشيعة بما عامل علماء الشيعة الأمة الإسلامية، فكفروا الشيعة جملة وتفصيلاً، وقد كان هذا موقفاً سليماً، ولم يكن من شيمة الدعاة المخلصين ولا من شيم من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، وكانت النتيجة: أن أثار هذا الموقف السلبي عامة الشيعة فتعصبوا لمعتقداتهم دون النظر والتمعن فيها.. فأريقتم الدماء هنا وهناك باسم الإسلام والدفاع عن أهل البيت!!

لكن كل هذا لم يستطع أن يحول دون بزوغ الشمس من جديد، فالشمس لا تستطيع الغياب خلف الغيوم الداكنة أبد الدهر؛ فخرج من المجتمع الشيعي نفسه - في ظلال التعاليم القرآنية والخطاب السماوي إلى العقل البشري - أناس وجدوا الحقيقة من القرآن الكريم دون غيره، فقد اتصلوا بالقرآن وعاشوا في رحابه إلى أن خالط جماله صدورهم فتزينت قلوبهم بنور الإيوان وأصبحوا من الراشدين..

أجل، هؤلاء هم المسلمون حقاً، فقد توصلوا إلى الله وإلى الحقيقة التي أرادها المولى من خلال كلامه جل وعلا، وأدركوا عمق ما يعانيه إخوانهم من عامة الشيعة الذين تركوا حبال عقولهم في أيدي قيادات لا تريد لهم الهداية حرصاً على مناصب زائفة أو شيء من الدنيا قليل. وقد شمر هؤلاء المصلحين المهتدين عن سواعد الجد عسى أن يصلحوا ما أفسده الناس من قبلهم، وقد خرج من بينهم أسماء كبيرة لمعت في الفكر الإصلاحي الشيعي بشكل كبير، وجعلت الأمة المسلمة تفتخر بهم، كآية الله البرقعي، ومن أبرز مؤلفاته: تفسير قيس من القرآن، عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول (كسر الصنم) ودراسة علمية لأحاديث المهدي وغيرها، والعلامة حيدري علي قلمداران، من أبرز مؤلفاته: طريق الاتحاد والخمس وسبل النجاة عن شر الغلاة وغيرها، والشهيد آية الله موسى الموسوي، من مؤلفاته: الشيعة والتصحيح، والثورة البائسة، ويا

شيعة العالم... استيقظوا وغيرهم الكثير..

وفي هذا الركب المبارك يُذكر اسم «الأستاذ محمد باقر سجودي» صاحب هذا الكتاب الذي يتميز بسهولة أسلوبه وخطابه لعامة إخوانه من الشيعة.

فالمؤلف - حفظه الله - يقدم في هذا الكتاب ثمرة رحلته الطويلة من الظلمات إلى النور، فقد اهتدى إلى الحق المبين من خلال القرآن الكريم الذي يخاطب أولي الألباب والعقول.

وها هو يضع ثمرة رحلته المباركة بين يدي جميع أفراد الأمة لتكون شمعة أخرى بجانب ما وضعه إخوانه المصلحون من الشموع والمعالم على طريق الدعوة إلى النور وإلى الحقيقة المظلومة.

وقد حاولنا - قدر جهدنا - أن نقدم ترجمة وافية تعكس روح الكتاب وعباراته ومعانيه دون زيادة فيها أو نقصان، فإن كنا قد وفقنا في ذلك فذلك فضل وتوفيق من الله ﷻ لا ندعيه لأنفسنا، وإن كنا قد قصرنا في شيء منه فتلك سمة بشرية لا نستطيع الهروب منها.

ونسأل الله ﷻ أن يتقبل هذا العمل منا ويضعه في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. إنه نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة جدير.

وأخيرًا..

ليس هذا الكتاب إلا مساهمة من المؤلف لإرجاع الأمة إلى التشيع السني الأصيل، يناشد من خلاله كل متشيع لأهل البيت أن يتجرد من كل هوى وليبدأ في التحقيق الجاد في كل ما فرق به أهل الأهواء بين عالم السنة وعالم الشيعة، فلعل نورًا جديدًا يلمع في الأفق، يعيد لهذه الأمة وحدتها، ويجعلها على كلمة سواء فيما بينها.. لتنتطق هذه الأمة واعية على بصيرة إلى الله، في عالم كثير التعطش إلى الدين الإسلامي الخنيف...

الدكتور/ نور محمد جمعه

٢٧ / رمضان المبارك / ١٤٢٧ هـ.

(١)

المنافق والفرص

يقول بعض علماء الشيعة: اغتصب الصحابة حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة الرسول الأمين ﷺ، فتجاهلوا ما نص عليه ﷺ في خلافة علي من بعده، وتأمروا جميعاً على مخالفة أمره ﷺ على علم ودراية منهم!

تعالوا معي لنجاري إخواننا من الشيعة فيما يزعمون، ثم لنسألهم:

- هل كفر الصحابة بفعلهم هذا؟..

وهم سيجيبون على هذا السؤال: لا شك في ذلك، فقد ارتدوا وكفروا؟!!

وهذا قياس جلي واضح وصحيح، فمن يغير حكم الله ﷻ على علم منه، أو يرفض حكماً له سبحانه، أو ينكره، أو يخفي ما أمر الله به، يكفر لا محالة، مهما صلحت سائر أعماله، فمثلاً: أجمعت المذاهب الإسلامية على كفر من ينكر الزكاة وإن كان يقيم الصلاة ويحج البيت...

فيا ترى:

- هل كان الصحابة يعرفون أنهم سيكفرون إن أنكروا ما نص عليه الله ﷻ بخلافة علي عليه السلام؟

فيأتي الجواب بأنه:

- لا شك في ذلك! فإنهم كانوا على علم تام بقواعد الدين وأصول شريعته، وهم الذين كفروا الأعراب الذين أنكروا الزكاة بعد وفاة الرسول ﷺ، وسلّوا سيوفهم في وجوههم، والمعروف أن هؤلاء المرتدين - مانعي الزكاة - كانوا يؤدون الصلاة ويقيمون سائر شعائر الدين.

- إذن على ما افترضناه؛ فهل الصحابة أشد كفرة أم مشركي مكة في الجاهلية؟!

- والجواب: لا شك أنهم كانوا أشد كفرة من مشركي مكة؛ لأنهم كانوا يظهرهم الإسلام ويبطنون الكفر، أي - والعياذ بالله - كانوا أهل نفاق، والمنافق أخبث من الكافر ولهذا جعله الله

في الدرك الأسفل من النار، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

وهنا سؤال يطرح نفسه:

يا ترى؛ متى يظهر النفاق في المجتمعات؟

- والجواب: أن النفاق يظهر إذا قويت شوكة الإسلام وسيطر المسلمون على قواعد الحكم، فمثلاً: في العهد المكي كان الإسلام يزرع تحت نيران الظلم والطغيان، وكان المسلمون ضعافاً لا يقدرّون على شيء، فكان جمهور الناس مشركين كفاراً، إلا تلك الفئة المؤمنة، ولم يظهر النفاق هناك لكن يوم أن ظهر الإسلام في المدينة وقامت الحكومة الإسلامية عرف المجتمع لوناً جديداً من الناس؛ كفار يكرهون الإسلام ويكيدون له ويبطنون حقداً عليه لكنهم يظهرون الاستسلام التام لدين الله ﷻ، وهم: المنافقون.

وآن لنا أن نتساءل الآن:

- هل كان للإسلام قوة وشوكة في أول عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه؟..

- نستشف الجواب من خلال ما يزعمه علماء الشيعة أنفسهم؛ أنه لم يكن للإسلام قوة وشوكة يومذاك، فهم يقولون: لقد ارتد الصحابة كلهم.

فهل يمكن أن نزع بعد ذلك أن الصحابة خافوا من علي رضي الله عنه وأربعة أشخاص كانوا معه فناقوه؟!!

ولو كانوا يخافون علياً رضي الله عنه كما تجرؤوا على اغتصاب حقه!

ويجب ألا ننسى أن أوضاع المسلمين الداخلية، وأوضاع الجزيرة العربية بشكل عام كانت متدهورة جداً يوم أن تولى أبو بكر مقاليد الحكم، وقد ارتدت قبائل الأعراب، فلم يكن لأبي بكر أن يناقهم!

من جهة أخرى، يزعم علماء الشيعة أنه حضر جمع غفير من الناس في غدير خم، وشهدوا تلك الجلسة المشهودة التي اختار فيها النبي ﷺ علياً رضي الله عنه خليفة من بعده، ونص على ذلك. وهم الذين يزعمون بعد ذلك أنه يوم أن اغتصب الصحابة حق علي لم يعارض ولم يدافع عن

حقه إلا أربعة أشخاص إلى اثني عشر شخصًا حسب رواياتهم المختلفة:

فإذا كان الأمر على ما يزعمون؛ فإن ذلك يعني أن الجو العام كان يعادي عليًا عليه السلام، فلا نجد دليلًا لبروز ظاهرة النفاق.

زد على ذلك، أن الوضع السياسي العام لم يكن موافقًا للمسلمين: فقد ظهرت مجموعة من الناس في اليمن وفي سائر أنحاء جزيرة العرب يدعون النبوة، وكان الإسلام في خطر جسيم من أمرهم.

ففي مثل هذه الأوضاع المتدنية - بالنسبة للمسلمين - والظروف المواتية - بالنسبة للأعداء - كان لا بد للمنافق أن يستغل الموقف ويقلع شجرة الإسلام من جذورها، ولا سيما إذا كان الحكم بيده، ولا شك أنه لن يفرط في مثل هذه الفرصة الذهبية، لكننا نرى خلاف ذلك تمامًا: فيها هو أبو بكر يفدي دين الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بهاله وروحه.

فيماذا يمكننا أن نفسر ذلك؟!

من هؤلاء الصحابة - الذين يتفوه الشيعة بكفرهم ويرميهم بالردة والزندقة والنفاق - من يقذف نفسه بالمنجنيق وراء أسوار قلعة الكفار، ليسقط على بحر من رماح الأعداء وليستقبل آلفًا من سيوفهم بصدرة، عسى أن يفتح الباب لإخوانه من المسلمين، دفاعًا عن هذا الدين المبين، ويكتب الله له بإخلاصه وصدقه مع ربه أن يفتح الباب، وقضى سبعمائة منهم شهداء في تلك المعركة الضروسية والتي شنوها على مسيلمة الكذاب! وغيرها من الوقائع العظيمة والبطولات التي تزخر بها كتب التاريخ وقعت في تلك الأيام القلائل التي حكم فيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

فيا ليت شعري: من أجبرهم على الدفاع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم؟!

فإن المنافق لا يتجرأ على الخوض في مثل هذه المواقف، ومن له أدنى صلة بالآيات القرآنية ويؤمن بها - ولو شكليًا - لا يستطيع أن ينكر أن المنافق لا يتمتع بتلك الجرأة والشجاعة التي تطلبها الشهادة، بل إنه يغتنم أية فرصة للتنكيل بالإسلام والمكر به.

فقد قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَعِذْهُمْ

لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ [التوبة: ٨٣].

وكلنا نعرف بأن الصحابة الذين يكفرهم الشيعة، هم الذين رافقوا النبي ﷺ في جميع الغزوات وقدموا أرواحهم رخيصة بين يديه ﷺ، وفدوه بأموالهم وأنفسهم وآبائهم وذرياتهم. وها هو المولى ﷺ يصف المنافقين بغير ذلك تمامًا: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَيَلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧].

وقد كان أمام أبي بكر عدة خيارات:

هنا أهل المدينة.. وهناك أهل مكة.. والأعراب في كل جانب.. والروم والفرس يرحبون به إن طغى.. ومسيلمة الكذاب:

لكنه مع كل هذه الفرص الذهبية التجأ إلى حضن الإسلام. ليس هذا فحسب؛ بل قاتل الكفار بكل ألوانهم وأشكالهم، وليس هذا فحسب؛ وإنما اقتلع جذور الكفر والشرك من جزيرة العرب. هذا ما لا يستطيع أحد أن ينكره، وقد أثبتته التاريخ وصدقه، وحتى الشيعة أنفسهم يقرون بأن أبا بكر وعمر قدموا للإسلام خدمات جليلة.

وقد ظهر للعيان - بما لا يستطيع أحد إنكاره - أن الصحابة في تلك الأوضاع الصعبة والظروف المستعصية التي عاشتها الفئة المؤمنة والجزيرة العربية، استطاعوا بجدارتهم وحسن تفانيهم وصدقهم مع الله أن ينجوا سفينة الإسلام من بين تلك الأمواج المتلاطمة لترسو على شاطئ الأمان.

وقد سجل لنا القرآن الكريم بكل وضوح أن المنافق لا يساند الإسلام البتة، ليس هذا فحسب، بل إنه إن وجد فرصة للنيل من الإسلام استغلها في القضاء عليه.

وقد أثبتنا أن مثل هذه الفرصة سنحت لأصحاب الرسول ﷺ، ومن هنا لا حالة أننا نصل إلى: أنه يجب علينا أن نشهد ونقر موقنين، بأن الصحابة لم يكونوا منافقين، وإنما كانوا أبطالاً مجاهدين دافعوا عن حظيرة الإسلام وقدموا أرواحهم رخيصة لله ﷻ، وسطروا على صفحات

التاريخ قصصًا من بطولاتهم وشجاعاتهم لم يشهد لها التاريخ مثيلاً ولن يشهد.
هذه حقيقة تاريخية ثابتة لا ينكرها إلا جاحد أو مباحك، ولا يتجاهلها إلا من يعادي الحق
المبين...

فبما أن الصحابة لم يرتدوا عن الإسلام، ولم يدخلوا في زمرة المنافقين - كما سبق أن شرحنا
وبسطنا الكلام - فلا يمكن أن يتغاضوا عن حكم الله ﷻ في خلافة علي عليه السلام بعد الرسول ﷺ،
أو يتجاهلوه أو يغتصبوها منه.

ومن يزعم ذلك يجب عليه أن يجيب على كل هذه التساؤلات، ويبحث عن حل لكل هذه
الأسئلة الحائرة.

(٢)

لماذا سكت علي رضي الله عنه

هذا المبحث يسعى للكشف عن موقف الشخصية الثانية لهذه القصة، وهو ذلك الرجل الذي يزعم من يدعون أنهم أتباعه بأن حقه قد غُصِب! وسننقل مواقفه تجاه من اغتصب حقه - كما يزعمون - عن المصادر التي يعترف بها أتباعه من كل الفرق والاتجاهات.

يقر الجميع بأن علياً لم يسلب سيفاً ولم يطالب بحقه الذي وهبه الله إياه، ونص عليه الشرع المبين، وبقي طوال ٢٥ سنة صامتاً لا يطالب بحقه المشروع! فلماذا؟! يذكر علماء الشيعة - حسب ما أعلم - دليلين لتأويل هذا السكوت المريب:

الدليل الأول:

سكت علي عليه السلام مخافة أن تحدث فتنة تقتلع جذور الدين الجديد الذي لم تثبت دعائمه بعد، فأثر مصلحة الإسلام على مصلحته الذاتية، ولو طالب بحقه وخالف الناس فيما هم فيه لحدثت فتنة لا يعلم مداها إلا الله ولعلها كانت تقضي على الإسلام كله.

الدليل الثاني:

لم يكن سيدنا علي عليه السلام يملك قوة كافية ليطالب بها حقه، فاضطر للسكوت، وأثر الصمت أمام أعدائه.

ولعل لهذه التأويلات ملمح لمعنى آخر وهو: أن الخلفاء الذين سبقوا علياً - رضي الله عنهم أجمعين - قدموا خدمات جليلة للإسلام، وهذا يعني أنهم كانوا فتية مؤمنة غيرورة على دينها، سعوا إلى رفع راية الإسلام وإعلاء كلمة الله وأن يكون الدين كله لله، وقد أدوا دوراً عظيماً وقاموا بأعمال جليلة استصغر أمامها سيدنا علي عليه السلام ذنبهم في اغتصابهم الخلافة منه، فسكت عنهم.

إذا غضينا الطرف عن التناقضات التي تظهر في هذا الدليل - على أقل التقادير - يثبت شيء واحد وهو؛ أن الصحابة لم يكونوا منافقين ولا مرتدين، وإنما كانوا رجالاً صالحين نذروا أنفسهم لهذا الدين المبين.

فبعد ما ثبت لنا هذا، وظهرت لنا حقيقة الأمر: فكيف يمكننا أن نفتري على هؤلاء الأبرار ونقول بأنهم كانوا عصابة مجرمة عصت ربها وخالفت أمره ﷺ؟!!

وكذلك الدليل الثاني الذي يزعم أن علياً لم يكن يملك قوة كافية يطالب بها حقه، لا يقف على قدم ولا على ساق، فهو كالدليل السابق ضعيف لا يستند إلى شيء من البرهان، وذلك:

ليست القوة شرطاً أساسياً في المطالبة بالحق وإقامة الشرع المبين وإصلاح ما أفسده الناس، أو لم يبدأ الرسول ﷺ دعوته من الضعف المطلق؟ إذ كان رجلاً واحداً دعا إلى الحق، ومع الزمن اجتمع حوله مجموعة من الناس وبعد فترة وجيزة استطاع أن يقيم دولة إسلامية قوية!

وهل إذا ضعف الإنسان ولم يقوَ على مجابهة الباطل فإنه يبقى طائعاً مختاراً تحت راية النفاق خمساً وعشرين سنة؟!!

لا، لا يمكن أن أتصور أن بطلاً هماماً مثل أسد الله علي عليه السلام، فاتح خيبر، وأشجع الشجعان يرضى لنفسه حياة الذل والهوان.

فهو الذي وقف سداً منيعاً لا يعرف الضعف ولا يلين قيد أنملة أمام أمير الشام - معاوية عليه السلام - يوم أن تولى مقاليد الحكم، ولقد كان من الضعف بمكان ولم يكن بين يديه جيش مدرب متماسك، وكذلك لم تكن المصلحة تقتضي ذلك...

وقد رد على من أشار إليه بالسكوت على معاوية إلى حين - لأن جيشه قوي وعتاده كثير - رد الرجل الحازم الذي لا يلين: والله، لا أصبر عليه يوماً واحداً.

هنا سيقول هؤلاء القوم بأن علياً لم يكن رجل المصالح وإنما كان رجل المواقف.. أي إنهم يرددون كلامنا.. وبذلك يعترفون ببطلان دليلهم الثاني دون أن يشعروا..

كان علي عليه السلام لا يبالي أن يقتل في سبيل الله مائة مرة في اليوم الواحد، فقد نذر نفسه لدين الحق، وهو أول استشهادي وفدائي في الإسلام، فهو أول من فدى الرسول ﷺ بنفسه؛ فقد بات

في فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة، وقدم جسمه طائعاً مختاراً للرماح والسنان والسيوف.

وفوق هذا كله: كان علي عليه السلام يدرك تماماً أنه إذا كان الحق معه فسينتصر لا محالة، إذ ترافقه معية الله ونصره الذي وعد به المتقين، فمن كان يشعر بالمعية الربانية وبنصره لا يخاف في الله لومة لائم، وهو كان يحفظ قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

يرى أكثر علماء الشيعة أن أية معصية حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ تعود حقيقتها إلى تلك الانحرافات الأولى التي حدثت عند رحيله عليه السلام إلى الرفيق الأعلى، وكثيراً ما يرددون مقولتهم الشهيرة: إن عمر كان معصية من معاصي أبي بكر!

ومن هنا يقال بأن أبابكر يتحمل أوزار معاوية كذلك، فذنوب معاوية ومعاصيه ترجع إلى أبي بكر، ومن حيث المنطق والعقل لا غبار على هذا الاستدلال والقياس، وذلك لأنه إذا لم يكن أبوبكر قد اغتصب الخلافة من علي - حسب زعمهم - لم يجد يزيد مجالاً يسمح له بقتل الحسين عليه السلام.

لا شك أن علياً كان يدرك أكثر منا؛ بأن أساس البنيان إذا بني بشكل خاطئ سرعان ما ستتهدم البناية، وأنه كان يدرك جيداً بأن سيلاً من الأخطاء والضلالات ستظهر مع صمته هذا. فيا ترى؛ لماذا سكت ولم يطالب بحقه؟..

لماذا لم يرفع سيفه في وجه هذا الطغيان والظلم الخطير، كما فعل ابنه الإمام الحسين عليه السلام؟ بل أكثر من هذا كله؛ لماذا وقف في صف هؤلاء الأشرار وساندهم؟ طالما يردد التاريخ على أسماعنا بأن سيدنا علياً كان من أبرز المستشارين للخلفاء الثلاثة، وعلماء الشيعة يفتخرون دومًا بمقولة عمر الشهيرة: «..لولا علي لهلك عمر».

ويستنتجون من ذلك بأن علياً كان من العلماء المشاهير، بل من أبرزهم.. وأنا كذلك أفتخر بعلم علي كما أفتخر بتواضع عمر، وقبل هذا وذاك؛ أفتخر بتلك المحبة والأخوة التي كانت بين أولئك السادة الأبرار، ورجال التاريخ العظماء.

وهذه الجملة تبين لنا: بأن علياً كان يسعى لصالح عمر ويعاونه ويوم أن قرر عمر بأن يخرج

على رأس الجيش الإسلامي في معاركه في بلاد الفرس، وقف علي عليه السلام يقول: ... إذا خرجت معهم وهزمت أو قتلت ستنهار معنويات الجيش، لكنك إذا بقيت في المدينة تستطيع أن تعينهم بالمدد تلو المدد، كلما احتاجوا إلى ذلك^(١).

أي: إن علياً كان يحرص على حياة عمر وصحته، ويتمنى له طول العمر. فهل يتمنى رجل مثل علي الحياة وطول العمر لمنافق مرتد غير أحكام الله!

لا، أبداً.. لم يكن علي يصنع ذلك.. فقد كان عليه السلام سيفاً مسلواً على المنافقين والمرتدين، وكان عدوهم اللدود ولم يكن حتى يتكلم مع الكفار أبداً.

زوّج علي عليه السلام ابنته لعمر عليه السلام، فهل يعقل أن يقدم رجل مؤمن باسل شجاع مثل علي على زواج ابنته من رجل منافق مرتد؟!..
بالله عليكم فكروا مرة أخرى.

هل يعقل أن يقدم رجل تقي بار شجاع مثل علي فلذة كبده إلى من بدل دين الله وغير شره الميين؟!!

فإذا راجعنا مواقف علي عليه السلام من الخلفاء الثلاثة واستمعنا إلى الترهات التي يتفوه بها من يزعم اتباع علي عليه السلام، لوجدنا تناقضاً كبيراً لا يمكن تفسيره ولا تأويله، ولا تبقى حيلة أمامه

١- ذكر في نهج البلاغة؛ خطبه ١٤٦، ص ٢٠٣: لما استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه، فقال علي: «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةِ وَلَا بَقَلَّةِ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ، وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ مُنَجِّزٌ وَعَدُهُ وَنَاصِرٌ جُنْدُهُ وَمَكَانُ الْقِيَمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النُّظَامِ مِنَ الْحَرْزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ فَإِنْ انْقَطَعَ النُّظَامُ تَفَرَّقَ الْحَرْزُ وَذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَدَافِيرِهِ أَبَدًا، وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهَمَّ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ عَزِيزُونَ بِالْاجْتِمَاعِ فَكُنْ قُطْبًا وَاسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَصَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ مَا تَدْعُ وَرَأَاكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ، إِنْ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلْبِهِمْ عَلَيْكَ وَطَمَعِهِمْ فِيكَ...». [المصحح]

إلا أن نقول:

○ إما أن التاريخ يكذب، ولم تصدر مثل هذه المواقف منه عليه السلام تجاه إخوانه من الخلفاء.

○ وإما أن ما يقوله الشيعة ليس إلا كذباً وبهتاناً.

يتفق الجميع بأن ما ذكرناه عن علي عليه السلام قد حدث فعلاً - وإن كنا نرى بأن الصلوات الأخوية ووشائج المحبة بين علي وإخوانه كانت أكثر بكثير مما ذكرنا - لكننا نكتفي بالحد المتفق عليه بين الفريقين. ولا يبقى مع ذلك إلا القول الثاني وهو: أن ما يقوله الشيعة ليس إلا كذباً وبهتاناً.

أجل، هذه أكذوبة افتروها على التاريخ، وعلى هؤلاء السادة الأبرار..

هذه هي الحقيقة الثابتة التي توضح لنا ذلك التناقض وترفعه...

لا يستطيع عاقل أن يتصور؛ أن ينص الله تعالى على خلافة علي بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويقرر له سيادة الأمة وقيادتها، فيقوم علي - بناء على ما يرى - بتغيير حكم الله تعالى ويتنازل عن حقه المنصوص عليه!

فالقضية هنا - حسب ما يزعمون - قضية الواجب لا الحق.. فقد كان يجب على علي عليه السلام أن يقيم شرع الله وحكمه، فقد أمره الله تعالى من فوق سبع سموات أن يقوم بالأمر.

من هنا يتضح للعيان خطأ ما يزعمونه من أن الصحابة اغتصبوا حق علي، وأنه سكت، وحيثنذ يلزمهم القول: إن الصحابة صدوا علياً عن القيام بالواجب، فسكت علي على ذلك...

فهل يتجرءون على القول بمثل هذا!؟

يحاول علماء الشيعة أن يجيبوا على هذه النقطة فيقولون: لما بلغ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حكم الله إلى علي عليه السلام أضاف إليه قائلاً: يا علي، إذا لم تتفق كلمة الناس عليك وأخذوا يخالفونك، آثر الصمت والسكوت!

إذا قبلنا هذا التفسير منهم، فيجب أن نقبل كذلك بأن الله تعالى لأول مرة وآخر مرة في تاريخ الكون أصدر حكماً لكنه جعل تنفيذه مشروطاً بقبول الناس ورضاهم (!)

لم يجعل الله ﷻ أي حكم من أحكامه مشروطاً بقبول الناس ورضاهم، لا ينفذه المؤمنون إلا إذا وافق عليه الناس! بل أمر الله عباده المؤمنين أن يقيموا شرعه المتين وأحكامه الرصينة سواء رضي الناس بها أو لم يرضوا، حتى ولو وقف الناس في جانب وبقي مسلم واحد يدعو لأحكام الله في جانب آخر. وحتى ولو وقعت المعارك وأريقَت الدماء فأحكام الله سارية المفعول لا محالة!

ولا نجد مثلاً واحداً في التاريخ ألغى المؤمنون فيه حكم الله لأن الناس لم يرضوه! فإذا قبلنا هذا الكلام من علماء الشيعة يجب أن نقول بأن سنة الله قد اخترقت، تلك السنة التي لن تجد لها تديلاً ولا تحويلاً^(١).

فقد اتخذ علماء الشيعة هذه النقطة التي تزعم أن «حق علي قد اغتصب» مشجَباً علقوا عليه مذهبهم، وجعلوها محوراً ثابتاً لا نقاش فيه، فاضطروا أن يخلطوا الحابل بالنابل ويلتجئوا إلى تلك التفسيرات والتأويلات التي لا تتلاءم مع العقل والمنطق السليم، ولم يكن يهمهم في سبيل الوصول إلى غايتهم أي شيء، حتى وإن جعلوا سنة الله تُخترق ونظام الكون ينهار.

ولعل أحدهم يقول:

حسب قاعدة المصالح المرسله يُعطل بعض الأحكام الإسلامية إذا وجدنا ضررها أكبر من نفعها، وقد شعر علي عليه السلام أن ثورته في وجه هؤلاء الطغاة ورفع السيف قد يؤدي إلى أضرار جسيمة، لذا أثار الصمت وسكت.

ولنا أن نسألهم مباشرة: ما هي الفائدة أو الخير الذي نرجوه من أمة شابة لم تستقر دعائمها بعد، إذا قادتها فئة من المنافقين والمرتدين؟

وبعد هذا لا يبقى أمامنا سبيل إلا أن نقر بملء فينا أنهم لم يكونوا منافقين ولا مرتدين، ولا يليق بنا أن نتهم أولئك الأبرار المخلصين بأنهم خانوا دين الله وخالفوا أمره ﷻ وتجاهلوا النصوص القاطعة في خلافة علي عليه السلام.

لا يمكننا أن نقف أمام هذا التضاد وأن نجيب على هذا التناقض إلا أن نعترف موقنين بأنه

(١) ﴿أَسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

لا أساس لمذهب التشيع، فلم يكن هناك حق ليضيع، ولم يكن سيدنا علي عليه السلام خليفة منصوباً عليه من قبل الله تعالى ولا من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

فهذه قاعدة رصينة في معرفة الحق من الباطل، بها تميزت المذاهب والكتب الزائفة من المذاهب والكتب الصادقة، فكلما صادفت مذهباً أو عقيدة يضرب أحماًساً في أسداس لإثبات مفاهيمه وتأويل تناقضاته، اعرف يقيناً بأنه؛ لا أساس لهذا المذهب أو تلك العقيدة في دين الله وشرعه المبين.

يأمرنا الله تعالى في محكم كتابه أن نرفع السيف على رقاب الكافرين والمنافقين، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣].

ويأمرنا أن نشدد عليهم: ﴿وَأَعْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].
ويأمرنا ألا نرافق جنائزهم ولا نصلي عليهم: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

ولم ترو لنا السيرة المطهرة ولا التاريخ الثابت المتفق عليه موقفاً واحداً عامل الرسول صلى الله عليه وسلم أو سيدنا علي عليه السلام الصحابة الأبرار بمثل هذه الأوامر التي وردت في سورة التوبة، ومن يزعم شيئاً من ذلك فقد تجرأ على الحقيقة وبلغ في الكذب مبلغه.

هل يمكن أن يرشح عمر علياً عليه السلام ضمن أهل الشورى الستة - الذي كلفه لاختيار أحدهم خليفة من بعده - وعلي يكفر الصحابة كلهم؟

فقد اختار عمر ستة أشخاص؛ وهم من الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ، منهم علي عليه السلام ليختاروا أحدهم خليفة للمسلمين من بعده.

وهل يعقل أن يؤمن علي بنفاق عمر أو كفره، وعمر يجعله أحد أهم مستشاريه يرجع إليه في مهام الأمور ويسمع لآرائه ونصائحه وقد يعمل بها؟..

خلاصة الكلام: أن علياً لم يجاهد الخلفاء من قبله.. ولم يغلظ عليهم.. وقد حضر جنازتهم، وصلى عليهم؛ وقام على قبورهم...

فإذا كان أولئك الخلفاء منافقين أو كفاراً، لا بد أن يقولوا بأن علياً خالف أوامر الله ﷻ في الآيات المذكورة السابقة من سورة التوبة، فهل هناك من يتجرأ أن يتفوه بمثل هذا الكلام في حق علي عليه السلام...

والذين يزعمون أنفسهم من شيعة علي يقولون: بأن علياً سكت طوال فترة خلافة الخلفاء الثلاث حرصاً على وحدة الصف الإسلامي ومصالح الأمة.. فيا ترى؛ لماذا لا يقتدي هؤلاء بسيدنا علي عليه السلام في سكوته؟!

ما هي المصلحة أو الفائدة في إثارة مثل هذا الكلام بعد هذه القرون الطويلة، وقد انتقل أبوبكر وعمر وعثمان وعلي عليه السلام إلى الله ﷻ؟ لماذا أحييت هذه الفتن والمناقشات بعد ثلاثة قرون من الزمان؟

ألم يكن من الأفضل لكم وللأمة أن تقتدوا بعلي عليه السلام فيما تقولون: أنه سكت طوال هذه الفترة كلها استجابة لأمر الرسول ﷺ، فلم يثر فتنة ولم يقدر ثورة؟

كان الإسلام في أيام عثمان عليه السلام يتمتع بالقوة والشوكة وكان علي عليه السلام معه في الصف ساكناً، فماذا دهاكم أنتم لأن تثيروا الفتن والإشاعات يوم أن ضعف الإسلام وخارت قواه؟ أليس من الأفضل أن تقتدوا بعلي عليه السلام وتسكتوا عن الأيام السابقة وتركوا أمرها إلى الله ﷻ ليقضي فيها بما يشاء يوم توضع الموازين؟

من يتصفح التاريخ - أعني التاريخ المتفق عليه بين الفريقين والذي يقر به علماء الشيعة أنفسهم - قد يستغرب إذ لا يرى معركة دارت بين أسرة علي وأهل بيته، وأسرة عمر أو أسرة أبي بكر، ولا يسمع عن خلافات أو تشاحنات ظهرت بين أسرهم، وإنما يجد حباً وولاءً ووثاقاً وروابط اجتماعية وثيقة؛ فتعال معي لننظر إلى قضايا الزواج التي تعتبر رمز الحب والصدق والتقدير والتقارب بين الأسر:

ولنبداً من سيدنا رسول الله ﷺ:

زوّج الرسول ﷺ بنتاً له لعثمان رضي الله عنه، ولما ماتت زوّجه الرسول ﷺ ابنته الأخرى ^(١).

وزوّج الرسول ﷺ ابنته الصغرى فاطمة الزهراء لعل رضي الله عنه.

وتزوج الرسول ﷺ عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وتزوج الرسول ﷺ كذلك حفصة بنت عمر رضي الله عنه.

وتزوج عمر رضي الله عنه أم كلثوم الكبرى بنت علي رضي الله عنه.

أم الإمام الصادق - الذي يعتبره الشيعة مؤسس مذهبهم - هي من أهل بيت أبي بكر رضي الله عنه.

فقد ذهب الإمام السجاد - حفيد سيدنا علي رضي الله عنه - إلى بيت عبد الرحمن - حفيد سيدنا

أبو بكر رضي الله عنه - يخاطب بنته لابنه الباقر، أي ذهب إلى بيت رجل اغتصب جده حق سيدنا

علي رضي الله عنه في الخلافة (!)، وقال له: جئت أطلب يد ابنتك أم فروة لابني باقر. وقد قبل

عبد الرحمن - حفيد أبي بكر - هذه الخطبة وزوج بنته من ابنه.

ومن الجميل في الأمر كذلك؛ أن جدة الإمام الصادق - رحمها الله - كانت حفيدة لأبي بكر

الصديق رضي الله عنه، وكان الإمام الصادق - مؤسس مذهب الشيعة كما يقولون - يفتخر بذلك

ويقول: ولدي أبو بكر مرتين؛ أي يرجع نسبي من قبل أمي إلى أبي بكر مرتين - أمي وجدتي - ^(٢).

ألا تدل هذه كلها على أنه لم تكن هناك أية مشاجرات ولا تشاحنات بين علي وأبي بكر رضي الله عنه،

وأن قضية الخلافة المزعومة لا أساس لها، وإنما هي أوهام وخيالات أنجبتها قلوب مريضة ختم

الله عليها؟ وليس لها أصل ولا حقيقة في واقع الأمر؟

ولا أتوقع أن يتنازل الجاحد والمعاندين عن موقفه بقراءة ما سردته هنا، ذلك لأنه قد عرف أكثر

من هذا وسمع أدلة أوضح مما ذكرت، ولكنه مع ذلك ظل على موقفه يناطح الحق ويساند الباطل.

تصوروا معي؛ هل هناك دليل أوضح على ما قلناه من أن علياً رضي الله عنه زوج ابنته التي لم

(١) وهما؛ السيدة رقية والسيدة أم كلثوم رضي الله عنهما.

(٢) أما قوله ولدي أبو بكر مرتين لأن أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وأم فروة أمها أسماء

بنت عبد الرحمن بن أبي بكر.

تتجاوز إحدى عشرة سنة، تلك الفتاة التي أنجبته بنت الرسول فاطمة الزهراء عليها السلام، بأكثر أعدائه ذلك المنافق المرتد المتغطرس؟! (أستغفر الله)... يزوج أم كلثوم فلذة كبده، وفلذة كبد بنت الرسول فاطمة الزهراء إلى عمر الذي تجاوز الخمسين من عمره^(١).

فقد أصبح بعض من يزعم إتباع علي «ملكين أكثر من الملك نفسه!». ولا أظنني أستطيع أن أصدق من يحرص على الملك أكثر من الملك نفسه، إلا إذا كان يخفي وراءه مكرًا ودسيسةً وخدعةً.

(١) وقد اعترف ثقة الإسلام الكليني بزواج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. انظر: (الفروع من الكافي للكليني ٦/ ١١٥، وكتاب: لثالى الأخبار للتويسركاني ٤/ ٩٢). وقد أفرد أبي معاذ السيد بن أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي كتابا سماه «الأسماء والمصاهرات بين أهل البيت والصحابة رضوان الله عليهم»، وأورد فيه أسماء من تسمى بأسماء الخلفاء الراشدين - أبوبكر وعمر وعثمان - من أهل بيت الرسول ﷺ وأسماء من سميت بـ«عائشة» من نساء أهل البيت، والزيجات والعلاقات الأسرية التي كانت بين بيوتات أهل البيت وآل أبي بكر وعمر من خلال ما ثبت في المصادر الشيعية المتفق عليها لدى الشيعة أنفسهم!... (دار الإيمان للطبع والنشر، الإسكندرية. وتجد الكتاب كذلك في موقع المهتدون على شبكة الإنترنت). [المترجم]

(٣)

ماذا كانت أهداف الغاصبين؟

يا ليت شعري؛ ماذا كان يرمي إليه من اغتصبوا حق علي عليه السلام؟..

ولماذا منعه من أداء واجبه؟..

ولماذا ارتكب هؤلاء الجناة هذه الجريمة النكراء؟..

وإلام كانوا يهدفون من وراء هذه المؤامرة الدنيئة؟!

يزعم إخواننا الشيعة؛ أن جميع الصحابة وخصوصاً المقربين من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله اشتركوا في هذه الجريمة، ولم يعصم منها إلا أربعة أشخاص - إلى اثنا عشر حسب اختلافاتهم هم - فقط.

وتعال معي لنبحث عن الدواعي الكامنة وراء هذه الجريمة الشنعاء...

في الوهلة الأولى: تشير أصابع الاتهام - عندهم - إلى أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وغيرهم من كبار الصحابة ممن قادوا المؤامرة..

فيا ترى؛ ماذا كانوا يبغون من ورائها؟

الدنيا وزينتها؟..

لا، وألف لا!

يشهد التاريخ ويشهد قادة الشيعة وعلمائهم - أمثال الخميني - أن معظم هؤلاء السادة آثروا حياة الزهد على نعيم الدنيا وقضوا حياة في نهاية البساطة والزهد ولم يستغلوا أموال الخلافة لمطامعهم الشخصية أو للترف.

ولعله يجدر بنا هنا أن نذكر قصصاً من حياتهم لنلقي الضوء على جوانب من حياتهم ومعيشتهم...

القصة الأولى:

دخل أبو بكر رضي الله عنه بيته في يوم من الأيام، فقدمت زوجته إليه طبقاً فيه قطعة من الحلوى.
فسأل مستغرباً: ما هذا؟!!

فقالت زوجته: كنت أستقطع من مصاريف البيت في كل يوم شيئاً وأدخره، حتى تجمع عندي مبلغ واستطعت أن أصنع هذه الحلوى.

فقال أبو بكر: إن المقدار القليل الذي كنت تدخرينه يومياً، كان شيئاً زائداً عن حاجتنا.
ثم أمر صاحب بيت المال أن ينقص من راتب الخليفة بقدر ما كانت تدخره.

القصة الثانية:

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتجهز للجهاد، فنادى في الصحابة بجمع المال لتجهيز الجيش، فجاء عمر بنصف ماله وقدمه للرسول صلى الله عليه وسلم. ثم جاء أبو بكر بهاله كله ووضع بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم لا يريد بذلك إلا وجه الله. فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم: ماذا تركت لأهلك وأولادك؟ فقال أبو بكر: تركت لهم الله ورسوله...

من يتبع هواه ويعيش لندياه يخاف من الموت.. لكن حياة الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين- تمتلئ بالتضحيات وأروع صور الإيثار والتفاني، فإنهم لم يخافوا في الله لومة لائم، ولم ييخلوا يوماً بدمائهم في سبيل الله.

فقد ربي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أصحابه على الزهد والتقوى والإخلاص، وقد نجح في تربيتهم فتخرجوا من مدرسته يحبون الموت في سبيل الله أشد من حب الكفار للحياة، وكانت حياتهم صورة رائعة من الزهد والتشفيفتخرها التاريخ، وهذا ما يقر به علماء الشيعة أنفسهم في حق معظم الصحابة إلا بعضهم.

ومما يثير الدهشة والاستغراب ماأخذهم على سيدنا عثمان رضي الله عنه أنه كان يقدم أقاربه في المناصب وأنه خصص لهم هبات وهدايا سخية من بيت مال المسلمين.

لكنهم مع كل هذا لا ينكرون بأن عثمان مع كل ما كان يملك من الأموال الطائلة والثروات الهائلة كان يعيش حياة الزهاد، وهذا يجعلنا نتساءل:

إذا كان سيدنا عثمان رضي الله عنه مع ما يملك من الثروات الهائلة يؤثر حياة الزهد على حياة الترف، ولا يحيف في ماله الشخصي، فبالله عليكم؛ كيف يرضى أن يستغل أقاربه بيت مال المسلمين في الترف؟!

من يتق الله في ماله الشخصي، هل يتصور ألا يتقيه في أموال المسلمين ويتركها نهباً لمطامع أقاربه؟!

لا نستطيع أن نقول إلا؛ أن التناقض يأكل أدلتهم كما تأكل النار الحطب! وإذا كان قد حدث شيء من ذلك - إن ثبت - فلا شك أن عثمان لم يطلع عليه، فلا يمكن لمثل عثمان أن يرى أموال المسلمين تنهب ويظل ساكناً لا يحرك ساكناً!

إن التاريخ لم يشهد عزاً للمسلمين وخدمات جليلة قدمت له مثل ما قدمه الصحابة وأولادهم من بعدهم، وها نحن الذين نزعم بأننا نحن الذين نتبع الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم بالحق دون غيرنا، ونحن الذين نحمل راية الإسلام الخالص خفاقة على العالمين (!)، ضيعنا كثيراً من المكاسب التي اكتسبها أولئك الأبرار للأمة، فقد جعلنا الحدود الشمالية لإيران ثغوراً تفصل بين الإسلام والكفر، فهل نسينا أن الحدود التي وضعها الصحابة للفصل بين بلاد الإسلام والكفر كانت أبعد من ذلك بمئات الفراسخ.

وما ذهبت تلك الأراضي الإسلامية كلها أدراج الرياح إلا بتساهلنا وخنوعنا وذلنا وهواننا...

مع كل هذه التفاصيل هل يمكننا أن نتصور بأن فريقاً من المنافقين والمرتدين والخنوة وأولادهم قدموا للإسلام خدمات جليلة خطيرة عجز التاريخ الإسلامي أن يصنع مثلها فيما بعد؟!

هل هذه الأعمال العظيمة والتضحيات الكبيرة لا تكشف ستائر التعصب عن عيوننا لنرى فيهم أبطالاً مؤمنين مخلصين رباهم الرسول صلى الله عليه وسلم وقدمهم في أجمل ثوب؛ ليكونوا أجمل النماذج البشرية وأطهرها للعالمين.

وإذا سألت يهودياً: من أفضل اليهود؟

سيجيئك بلا شك: أصحاب موسى عليه السلام.

وإذا سألت نصرانياً: من هم أفضل المسيحيين؟

يقول بلا تردد: حواربي وأصحاب عيسى عليه السلام.

وكذلك المسلمون يقولون: صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولكن مع الأسف؛ ليس كل المسلمين؛ فالبعض منهم يفترون على نبيهم وعلى تاريخهم وعلى

عز دينهم فيقولون: أخبث الناس في أمتنا أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم!!

وتعالوا نفرض جدلاً أن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كانوا يسعون للوصول على كرسي

الحكم، ويطمعون في الملك بعد الرسول صلى الله عليه وسلم...

فيا ترى؛ لماذا شاركهم سائر الصحابة في هذه الجريمة الكبيرة التي قضت على آخرتهم لدنيا

غيرهم؟

فبقية الصحابة لم يكن لهم من الملك شيء، فما الذي ماذا جعلهم يكفرون بحكم رسولهم

ويتجاهلون أمره الصارم بعد وفاته مباشرة، ثم في اليوم التالي يحملون السلاح ويدافعون عن

حرمات دين الرسول صلى الله عليه وسلم، ويسقطون شهداء في المعارك الدامية مع مسيلمة الكذاب؟!

فهل كان أبو بكر يرشيهم، أم أنهم كانوا مرتزقة يعملون لدى أبي بكر رضي الله عنه، أم أنه كان

يغريهم بالمناصب؟!

وقد شهد الجميع بأن أبا بكر وعمر لم يأكلا من بيت مال المسلمين ولم يتركا نهباً للطامعين...

فكان يجب ولا بد لمن يفترى على المهاجرين والأنصار بمثل هذه الجريمة، ويتهمهم بمثل هذه

الكبيرة أن يبحث لهم عن دوافع وحوافز لمثل هذه النزعات الشيطانية.

لكن هيهات لهم ذلك؛ إذ لم تترك دماء الصحابة التي أريقت في سبيل شجرة الإسلام،

وزهدهم في الحياة، واتباعهم للرسول صلى الله عليه وسلم في تعاليمه هؤلاء المفترين ثغرة يطعنون من خلالها في

أعراضهم، فأصبحوا يهتفون عن فراغ في الفراغ...

ومرة أخرى نتساءل:

ولو فرضنا جدلاً أن كبار الصحابة - لأسباب مجهولة - ارتكبوا هذه الجريمة، فيا ترى؛ لماذا سكت الشعب من عامة الناس الذين حضروا غدير خم في سقيفة بني ساعدة؟! ماذا كان وراء هذا الصمت العجيب؟ هل نسي كلهم ما دار في غدير خم؟

وفيما يرى الشيعة أنه لم يكن بين غدير خم ووفاة الرسول ﷺ إلا سبعين يوماً، فهل نسي سبعون ألف إنسان ما دار قبل سبعين يوم في غدير خم؟!

يزعم الشيعة أن الرسول ﷺ اختار في غدير خم علياً خليفة من بعده، وأبلغ الناس بذلك، وفهم الناس كلامه وأدركوه وقاموا يباركون علياً بذلك!

وإننا نتساءل: لماذا لم يقم واحد من أولئك يقول لهم: أيها الناس، ألم يختار رسول الله ﷺ علياً خليفة من بعده؟!

فهل لنا أن نصدق؛ بأن الناس كلهم أجمعوا على مخالفة أمر الرسول ﷺ، وعلى التخلي عن واجبهم تجاه خليفته المختار؟

والله لا نستطيع أن نصدق هذا الكلام؛ لأن أولئك الناس أنفسهم قاموا - بأوامر من أبي بكر وعمر - يقاتلون في سبيل الله، لا يخافون في الله لومة لائم، ففتحوا بلاداً لم تكن آمنت من قبل؛ فتحوا بلاد فارس واليمن ومصر وبلاد الروم...

ولو أن خطيب مسجد كان يعظ الناس ويأمرهم بالتقوى والاستقامة على الدين، ثم هو نفسه يقود الناس ليلاً إلى قطع الطريق ونهب أموال الناس. وفي اليوم التالي يعود ليخطب في الناس ويذكرهم بالتقوى والصلاح.. فهل سوف يتأثر الناس بكلامه ويسمعون له؟

فإذا كان الناس قد رأوا بأمر أعينهم أن أبابكر وعمر اغتصبوا حق علي عليه السلام، وضربوا بقول الرسول ﷺ عرض الحائط، فهل كانوا سيخرجون تحت راياتهم لفتح البلاد والدعوة إلى دين الله بأمرهما؟

هذا أمر لا يتصور حدوثه.

لعل هذا السؤال طرح أمام منظري المذهب الشيعي، فلماذا عللوا في بعض كتاباتهم عن

سبب تجاهل الناس خلافة علي عليه السلام بأن قالوا:

«كان علي عليه السلام يعدُّ قاتل آباء من أسلموا من الكفار في عهده، فلم يكن أقارب الكفار المقتولين يطيقون عليًّا ولا يستطيعون رؤيته».

وهذا كذب محض، وهتان ليس له دليل، وجدل أجوف لا يقف على قدم أو ساق وذلك؛ لعدة أسباب:

١- لقد استوعب الصحابة هذه المسألة جيداً، فضاعت بينهم صلات النسب، وبعد ما تمكنت فيهم صلات الدين كان منهم من قتل أباه الكافر أو أخاه وابن عمه ومنهم من استأذن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في قتل أبيه المنافق.

٢- وإذا كانوا يحملون حقداً في قلوبهم فكان ينبغي أن يحقدوا على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كونه صاحب فكرة الولاء والبراء، وهو الذي أمر بقتل الكفار المحاربين.

٣- هناك من قتل من الكفار أكثر من علي عليه السلام، فعمر عليه السلام كان يشير دائماً إلى قتل الكفار والمنافقين، ويستأذن الرسول في ذلك، وجملته المشهورة: «دعني أضرب رأسه يا رسول الله، فقد نافق»، مازالت رطبة على لسان التاريخ.

٤- قضى الإسلام على هذه النزعة الجاهلية؛ فلم يبق شيء منها في صدور أولئك الرجال الذين رباهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقاتل حمزة - سيد الشهداء - وحشي؛ يوم أن أسلم أصبح أخاً للمسلمين؛ له ما لهم وعليه ما عليهم. فالإسلام يجبُ ويمسح ما قبله، ولم يحدث أن عبره أو عاتبه أحد بما كان من أمره في الجاهلية.

وكذلك فإن سيف خالد بن الوليد قطع رؤوس أفراد من الصحابة وقتلهم، لكنه يوم أن أسلم فرح المسلمون بإسلامه وعينوه قائداً ورئيساً لهم، ولم يعترض أحد على ذلك، ولم يقل أحد: كيف نرضى أن يكون من قتل آباءنا وإخواننا بالأمس رئيساً علينا اليوم!؟

٥- وكذلك - لو سلمنا جدلاً بصحة كلامهم - الذين كانوا يحملون في صدورهم على علي عليه السلام أنه قتل آباءهم أو إخوانهم كانوا من أهل مكة وفي مكة، ولم يكونوا من أصحاب الرأي والمشورة، وإذا كان منهم أحد في المدينة أمثال أبي سفيان، فإن المصادر

الشيعة تذكر أنه وقف بجانب علي يدافع عنه ولم يقل أن علياً قتل أصحابه. لكن علياً عليه السلام اعتبر وقفه هذه وقفة رجل مغرض يسعى إلى إثارة الفتن في الصف الإسلامي! فكما ترى يحمل هذا الدليل في نفسه ما يناقضه، فهل من ذكره لا يريد إلا أن يلتمس أي تبرير ليكسر رأيه ويضع فكرته الخاطئة في المقدمة؟! أم أنهم يبحثون عن الحق؟

وأحياناً يقولون: خالفوا علياً، لأنهم كانوا يخافون عدله؟!!

فيا ترى؛ من أي نوع كانت عدالة علي عليه السلام ليخافوا منها؟

فقد كان أبوبكر وعمر بشهادة الجميع رجلين عادلين. وحتى أن بعضهم يقولون: إن علياً يوم أن رأى عدل أبي بكر وعمر سكت ولم يطالب بحقه، هذا أولاً.

ثانياً؛ إن من عاش تحت عدل محمد صلى الله عليه وسلم وخضع له لماذا يخاف عدل علي عليه السلام؟

فهل كان علي عليه السلام أعدل من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟..

لم تكن هذه المعاني بالنسبة للصحابة أموراً غريبة، فقد ذاقوا الويلات من الظلم إلى أن سعدوا بالأمن في كنف الإسلام، وخضعوا بكامل اختيارهم إلى عدل الرسول صلى الله عليه وسلم، أليس الأنصار أنفسهم جاءوا إليه يرجونه أن ينتقل معهم إلى ديارهم - في المدينة أو ليثرب - ليحكم عليهم؟

يهمس البعض بأن الناس خافوا بطش عمر وسكتوا!

وهذا كذلك دليل لا يقف على برهان وذلك؛ لعدة أمور:

أولاً: لأن عمر لم يكن يملك جيشاً أو جنوداً.

وثانياً: ليس عمر فحسب، وإنما المهاجرون كلهم لم يكونوا أصحاب سلطة ولا أصحاب قوة في المدينة، فقد كان الأنصار - أهل المدينة وسكانها الأصليين - بحكم الواقع أقوى منهم بكثير.

ثالثاً: ورد أن رجالاً من الأنصار أمثال - سعد بن عباد - لم يبايعوا أبابكر ولا عمر إلى آخر أيامهم ولم يتجرأ أحد أن يجاسبهم.

فقد كانت حرية الرأي والكلمة من أساسيات الحكم الإسلامي، ولم يكن أحد يهاب أن يبدي رأيه.

القصة الثالثة:

قام عمر رضي الله عنه خطيباً في مسجد الرسول ﷺ، فوقف رجل في وجهه وقال: لا نسمع ولا نطيع!

فسأله عمر: ولم ذاك، يا عبد الله؟

فقال الرجل: إنك قسمت بيننا من مال الغنيمة، وأعطيت كلا منا قطعة من اللباس وإنما لا تكاد تكفي الواحد منا، وإنك رجل طويل ومع ذلك نرى لباسك على مقدار قامتك!
فنادى عمر ابنه عبد الله وقال له: أوضح لهم. فقام عبد الله وقال: إني أعطيت سهمي لأبي، فجمعه مع حصته وخاطه لنفسه.

فلم يكن أحد في تلك الأيام يخاف السلطان، فقد كان بإمكان أي رجل من عامة الناس أن يقوم ويصرخ في وجه الجميع: إنكم كذابون دجالون، الحق مع علي رضي الله عنه...

لكننا لم نر من قام في سقيفة بني ساعدة من أهل الشورى وصرخ بالحق الذي يزعمونه!
ولا بد لكل عمل من دواعي وحوافز.. ولا بد لعلماء الشيعة أن يكشفوا عن تلك الدواعي التي غيرت مجرى التاريخ الإسلامي وكادت تقضي على الإسلام بعد ارتداد الرعيل الأول! كما يزعمون.

(٤)

الصحابة وأيام الضلالة ...

يعتقد علماء الشيعة أن الصحابة كانوا منافقين حتى قبل وفاة الرسول ﷺ ويقولون: فُرِضَتْ الصلاة بإسبال اليدين - عدم وضعها على الصدر في القيام - لينكشف سر من كان يضع صنماً في كفه!

ويقولون: أراد الرسول ﷺ في مرض موته أن يكتب شيئاً - عن خلافة علي رضي الله عنه - لثلاث يضل الناس من بعده، لكن الصحابة تشاجروا ومكروا وحالوا بين الرسول ﷺ وكتابة ذلك الأمر المهم.

ومن غير أن نطيل نقول بأن الأمر عندهم لا يخرج من صورتين: إما أنهم يقولون أن الصحابة كانوا منافقين قبل وفاة الرسول ﷺ، أو أنهم قد ارتدوا بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى. وهنا نناقش الأمرين معاً:

إذا زعموا أنهم كانوا ينافقون الرسول ﷺ قبل وفاته ...

فنقول: هذا بهتان جد عظيم، لا يصح أبداً وذلك؛ لعدة أمور:

١ - كشف الله ﷻ لرسوله ﷺ عن أسماء المنافقين وأمره ألا يصلي عليهم وأن يقاتلهم ويتعامل معهم بالعنف والشدة. فلو كانت أسماء الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - في قائمة المنافقين، لم يكن الرسول ﷺ ليقر بهم منه ويتزوج منهم، ويستشيرهم في كل أموره!

٢ - لم يكن المنافقون يخرجون إلى الجهاد، وقد قال الله تعالى في حق الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين -: ﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [التوبة: ٨٧].

وكذلك يقول فيهم: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَعِذْكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ﴾ [التوبة: ٨٣].

فقد وضع الله أن المنافقين لن يقاتلوا ولن يخرجوا مع الرسول ﷺ إلى جهاد الكفار.. ولكننا نرى الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- كلما سمعوا نداء الجهاد أسرعوا إليه، ولم يكن مع الرسول ﷺ غيرهم ليصحبوه في المعارك! فهذه الآية مطرقة تضرب على رؤوس النائمين والغافلين، ألا تكفي هذه الآية في إيقاظ هؤلاء الجاحدين؟!

٣- إذا قالوا بأن الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- كانوا كلهم من المنافقين في عهد الرسول ﷺ، فهم بذلك يطعنون في إرادة الله ﷻ، وكأنهم يقولون بجهلهم؛ إن إرادة الله ﷻ قد فشلت - والعياذ بالله - وذلك لأن من أهم الأهداف التي أرادها الله ﷻ من إرسال الرسول إلى الناس أن يزيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فقد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

فحوى كلامهم هذا أن دعوة الرسول ﷺ قد فشلت! ومن يزعم أن الرسول ﷺ لم يستطع أن يربي مئات الألوف التي أظهرت له الإسلام إلا أربعة أشخاص - إلى اثني عشر شخصًا - فإنه يطعن في شخص الرسول ﷺ وصدق دعوته دون أن يدري، فهذا الكلام يعني أن أقرب المقربين إلى الرسول ﷺ من أزواجه وأصدقائه وأصحابه كانوا من زمرة المنافقين، أي أن الرسول ﷺ كان محاطًا ببحر متلاطم من النفاق والمنافقين، وكان يتسايرهم ويتماشى معهم دون أن يغير شيئًا! فهذه إهانة قبيحة وافتراء جد كبير على الرسول ﷺ لا يقول به مؤمن.

فلا بد أن نقر بالواقع ونقول: أجل، لقد انتشرت دعوة الإسلام في أنحاء الجزيرة العربية، وحكم المسلمون كل تلك البقاع، وقد ظهرت في صفوفهم - بطبيعة الحال - فئة قليلة من المنافقين.

إن من عيوب علماء الشيعة أنهم يقيسون الأمور بقياسات فارغة لتشتبه الأمور على عامة الناس:

فمثلاً إن قلت: لماذا تطوفون حول قبر الإمام الحسين عليه السلام؟

ولماذا أنتم تطوفون حول الكعبة؟!

وإذا سألتهم: كيف تكلم المهدي في المهدي، وعاش إلى الآن أكثر من ١٢٠٠ عاماً؟

يردون: لم لا؟ مثله كمثل عيسى تكلم في المهدي، وكمثل نوح تجاوز عمره ٩٦٠ عاماً.

وكذلك إن سألتهم: كيف يمكن أن يكون أزواج الرسول عليه السلام وآباء أزواجه عليهم السلام وأقرب

المقربين إليه وأصحابه من المنافقين؟

يردون: لم لا؟ فقد كان ابن نوح وزوجته وزوجة لوط من الكفار!

وهذه ليست إجابات، وإنما سفسطة كلامية يحاولون بها خداع الناس وإضلالهم، فهل

لهم أن يصغوا إلينا لعل الله أن يهدينا وإياهم إلى الحق الذي لا مرية فيه:

لقد عذب الله عليه السلام ابن نوح وزوجته وأغرقهم في الدنيا أمام أعين الناس، في حين أن الله

أكرم الذين تزعمون أنهم كانوا منافقين وجعلهم خلفاء رسوله عليه السلام بعد وفاته.

أمر الله نوحاً عليه السلام أن يتعد عن زوجته، كما أمر لوطاً عليه السلام أن يترك زوجته في بيتها ليلاً

ويخرج هو ومن معه ليشملها عذاب الله عليه السلام، لكن محمداً عليه السلام جعل أبا بكر يرافقه إلى الغار

ليصبح ﴿ثَانِي أُمَّتَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠] وليسجل القرآن ذلك فخراً له يتلى

إلى يوم القيامة! ومات الرسول عليه السلام ورأسه بين سحر ونحر زوجته عائشة وأمر صهره

أبا بكر أن يصلي بالناس.

أجل، لم يتخلى رسول الله عليه السلام عن أصحابه إلى آخر أنفاسه. وهذا هو الفرق بينهم وبين

ابن نوح وزوجات نوح ولوط.

وقد يقيس أحد ويقول: لأن زوجة لوط كانت كافرة فزوجة محمد عليه السلام كذلك كافرة،

وإذا كان هذا دليلاً، فزوجته كذلك - أي صاحب القياس - كافرة!!

وهل يقول عاقل قياساً: بما أن نوحاً عاش ١٠٠٠ سنة - إلا خمسين عاماً - يستطيع كل

من أراد أن يعيش مثله، وأنا سأعيش ألف عام!

هذه الترهات تشبه أساطير الأولين ولا تشبه الأدلة العلمية...

٤- فوق هذا كله؛ إن زعمنا أن الصحابة كانوا منافقين قبل وفاة الرسول ﷺ سنضطر إلى إنكار القرآن الكريم كذلك؛ وذلك لأن القرآن الكريم مدح الصحابة وذكر مناقبهم في مواطن كثيرة. ونذكر من تلك الآيات أمثلة من باب الاستشهاد لا الحصر.

نزلت سورة الفتح بعد صلح الحديبية وقبل وفاة الرسول ﷺ بخمسة أعوام. وقد تصالح المسلمون والكفار في الحديبية واتفقوا على عدة بنود ووقعوا وثيقة صلح، ومن ثم نزلت في حق الرسول ﷺ هذه الآية: ﴿لِيَعْرِفَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ وَعَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ٢ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ٣﴾ [الفتح: ٢-٣].

فتقدم الصحابة إليه يباركون له ويقولون: ما أسعدك يا رسول الله! فقد بين الله ﷻ أنه غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، وأنه سيتم عليك نعمته يوم القيامة، فإذا يصنع الله بنا يوم القيامة يا رسول الله؟

فنزلت قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ٥ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ٦ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ٧ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ٨ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قَوْلًا عَظِيمًا ٩﴾ [الفتح: ٤-٥].

وهذا الحديث عن أنس بن مالك، ذكره البخاري ومسلم في صحيحهما. ولعل أحداً يعترض ويقول: يا أخي، لو كنا نقبل أنس بن مالك أو البخاري أو مسلم، لم نكن بحاجة إلى كتابك هذا؟!

كلام سليم.. المفروض ألا نخرج في بحثنا هذا عن المصادر المشتركة التي نقبلها جميعاً، أي؛ القرآن والعقل.

نرجع مرة أخرى إلى القرآن الكريم؛ فيها هو في نفس السورة - سورة الفتح - بعد عدة آيات يبين لنا كيف أن الله ﷻ أعلن عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا الرسول ﷺ تحت الشجرة: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ

السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثْبَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ [الفتح: ١٨].

وهذا هو القرآن بين أيدينا، وقد وهبنا الله ﷻ عقولاً لفهمها القرآن، فيا ترى؛ من هم الذين بايعوا الرسول ﷺ وقد رضي الله عنهم وعلم ما في قلوبهم وأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً؟!

ذكرت كتب التاريخ لدى الشيعة أنفسهم: «لما خرج عثمان إلى مكة ليفاوض قريشاً، عسى ولعله يستطيع أن يقنعهم بأن لا يمنعوا الرسول ﷺ وأصحابه من أداء العمرة. أشيع بين الناس أن أهل مكة قد قتلوا عثماناً. فجلس الرسول ﷺ تحت شجرة ونادى أصحابه وبايعه الجميع على قتال أهل مكة».

ولا يمكن أن يقول عاقل أن علياً عليه السلام كان وحده مع الرسول ﷺ في تلك الواقعة، فالكل يقر بأن ألفاً وأربعمائة صحابي منهم أبوبكر وعمر كانوا يرافقون الرسول ﷺ - حتى الشيعة أنفسهم لا ينكرون ذلك - وكلهم - ما عدا جد بن قيس - بايعوا الرسول ﷺ. ومن هنا أصبح المسلمون يضيفون الجملة الدعائية: (رضي الله عنهم) بعد ذكر أسماء الصحابة، إشارة إلى هذه الآية: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨].

مرة أخرى ندقق في الآية الكريمة لنرى ماذا يقول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح: ١٨-١٩].

ماذا تعني هذه الآية؟!

هذا هو الله ﷻ الذي يعلم السر وما أخفى، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يخبر عن مكنون صدور الصحابة؛ ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١٨]، ويمدح إيمانهم، ويشيرهم بالفتح المبين، ثمناً لهذا الإيمان الراسخ والثبات الصادق ﴿وَأَثَبَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

فقد كان هذا أجر بيعتهم وثوابهم في الدنيا وما عند الله خير وأبقى. وفي الآية إشارة واضحة إلى الفتح الذي سيحققونه قريباً في خيبر على اليهود، وإلى المغانم الكثيرة التي سيأخذونها؛ وقد

تحقق لهم ذلك.

لما رجع الرسول ﷺ من الحديبية وعزم على الخروج إلى خيبر أراد الذين تخلفوا عن الرسول ﷺ في الحديبية، الخروج معه، طمعاً في الغنائم، ولكن الله ﷻ أمر رسوله ﷺ ألا يأذن لهم في ذلك، معاقبة لهم من جنس ذنبهم^(١).

ثم خرج مع هؤلاء المؤمنين الذين رافقوه في الحديبية إلى خيبر وهزم اليهود وأخذ مغانم كثيرة كما وعدنا الله إياها.

تقول عائشة رضي الله عنها: لم نشبع من أكل التمر إلا يوم الحديبية.

حمداً لك يا رب، نحمد الله ألف ألف مرة؛ أن علماء الشيعة لأجل أن يظهروا بطولة علي رضي الله عنه ورشادته، يقرون بأن أبابكر وعمر كانا يميلان ألوية الجهاد في خيبر لكنهما لم يستطيعا أن يحققا نصراً.

يستنبط من كلامهم أن هذه البشرى الربانية تشمل هؤلاء السادة - أبابكر وعمر وغيرهما - كذلك، وأنهم أخذوا مغانم كثيرة.

وإذا أخرج معاند رأسه وأنكر بجهله هذه الحقائق كلها، فنسأله: هل فتح علي رضي الله عنه لوحده تسعة قلاع مستحكمة من قلاع اليهود، أم أن الرسول ﷺ وجيشه قد حاصروا تلك القلاع وقصموا ظهر اليهود إلى أن هزموهم بإذن الله؟..

وإذا زعموا بأن علياً وأربعة أشخاص كانوا معه، هزموا تلك الجموع من اليهود وفتحوا تلك القلاع المستحكمة، نقول لهم: فلماذا تقولون إذن أن علياً يوم أن اغتصب حقه لم يكن يملك قوة؟! فهذا الرجل الذي استطاع أن يقلع جذور جيوش يهودية كانت من أخصص أرجلها إلى مفرق رؤوسها في الحديد ويمسح ذكرهم من صفحات التاريخ، كان بإمكانه أن يرمي عمر وأبابكر وسائر الصحابة في البحر ويقلع جذور النفاق ويقضي عليهم عن بكرة أبيهم في لحظة

(١) قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَعَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ فَلَئِنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَم قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [الفتح: ١٥].

بصر، فلماذا لم يصنع ذلك؟!

ولأنهم لا يجدون جواباً على هذا التساؤل يضطرون إلى الإقرار بأن الرسول ﷺ كان يرافقه مئات من المجاهدين في غزوة خيبر غير علي رضي الله عنه.

رجال ممن صدقوا الله ﷻ فيما وعدوه، رجال أيدهم الله ﷻ من فوق سبع سماوات، رجال ساهم القرآن الكريم مؤمنين صادقين. فهل من يؤمن بالقرآن الكريم يستطيع أن يطعن في الصحابة؟ أو يرميهم بتلك العبارات القبيحة إلى درجة أن يصفهم بالنفاق؟!

نرجو من إخواننا الشيعة الذين يؤمنون بالقرآن أن يجيبوا على هذا التساؤل.

فهذه الأدلة الواضحة التي هي أظهر من الشمس تصرح بشكل واضح لكل مؤمن بالقرآن أن الصحابة ظلوا متمسكين بإيمانهم وإخلاصهم إلى أن فارقه الرسول ﷺ وانتقل إلى الله ﷻ. هذا ما يشهد به القرآن الكريم ويقر به العقل السليم وتقف معه جميع الشواهد والأدلة والبراهين.

والآن نعود إلى الصورة الثانية التي تزعم بأن الصحابة ارتدوا بعد وفاة الرسول ﷺ، وهذا كذلك وجه لا يصح بتاتاً ولا يمكن أن نقول بأنه حدث، وذلك لعدة أدلة منها:

أ. هذا أمر يستحيل عقلياً، إذ لم تكن هناك أية دوافع لمثل هذا الأمر - وقد سبق أن ناقشنا فكرة الدواعي والدوافع أو الحوافز - ولنضرب مثلاً:

تصور معي أن ثلاثين ألف سيارة خرجت في رحلة طويلة في إحدى الطرق السريعة، ثم قرأت في الجريدة بأن كل هذه السيارات تعطلت فجأة، ما عدا أربع أو اثنتا عشرة سيارة! هل تصدق ذلك؟

وإذا قلت: قد يحدث ذلك. فلا بد أن تبحث عن السبب.

ولما تزعم بأن ثلاثين ألف صحابي - عدد الصحابة الذين رافقوا الرسول ﷺ في آخر معاركه - أرتدوا مباشرة بعد وفاة الرسول ﷺ، لا بد أن نذكر سبباً أو أسباباً. وإلا فلا يمكن لعاقل أن يصدق كلامنا.

ب. قلنا في قصة الحديدية؛ أن الله ﷻ أنزل سكينته على قلوب المؤمنين وأقر إيمانهم، فقد قال

تعالى في سورة الفتح: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ [الفتح: ٤-٥].

إن من ثمره إنزال الله السكينة في قلوب المؤمنين هي أنه تعالى سيدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ويكفر عنهم سيئاتهم. وأنه ﷻ يعتبر ذلك الجزاء فوزًا عظيمًا.

وهذه الآيات التي نزلت قبل وفاة الرسول ﷺ بخمسة أعوام - كما ترى - تصرح: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

لم يقل الله ﷻ: (لينقصوا إيمانًا من إيمانهم) كما يزعم علماء الشيعة؛ فإنهم يزعمون أن في هذه الأعوام الخمسة أخذ إيمان الصحابة يتناقص إلى أن وصل إلى الصفر. أليس هذا تعارضًا قبيحًا مع النص القرآني الواضح!؟

نكتفي بهذين الدليلين، ونترك القارئ يحاسب بعقله السليم من يطعن في الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - ويرميهم بالارتداد بعد وفاة الرسول ﷺ...

وأنا أرى لزامًا أن أذكر هنا خطة مأكرة وضعها بعض علماء الشيعة، لكنني أرى من واجب العدل أن أشير بأبني لا أقصد بذلك أبدًا الإساءة إلى عامة الناس، فإن أكثرهم أناس صادقون، لا ذنب لهم إلا أنهم لا يعلمون من الحق والدين شيئًا وقد امتلأت صدورهم بالأفكار والمفاهيم الخاطئة التي بثها فيهم علماءؤهم.

وكذلك لا أريد أن أطعن في نزاهة كل علماء الشيعة، فإن منهم طيبون يدركون الحق ولا يمنعهم من التصريح به إلا الخوف من تقلبات الحياة! وإنما أوجه خطابي إلى تلك الفئة من العلماء الذين يحاولون طمس الحقائق وإخفاءها عن عامة الناس.

فقد اخترع هؤلاء خدعة سموها «التقية»، يختفون خلف جدرانها كلما انتهت نبالهم ونفدت أدلتهم.

فمثلاً؛ في قضية تحريف القرآن، لما وجدوا أن أدلتهم لا أساس لها وبراهينهم لا محل لها من

الإعراب أنكروا القول بالتحريف، في حين أن كتبهم تمتلئ بالروايات التي تقول بذلك وأن العلماء الذين يقولون بالتحريف يعدون من أئمة المذهب ورواده، ويجدون عندهم كل الاحترام والتبجيل!

وأنا أخاف أن يخرج منهم من يقول - من خلال خدعة التقية - بأن كاتب هذا الكتاب يفترى علينا، ويضع الشبه والافتراءات على ألسنتنا ثم يرد عليها، فكتابه وضع على مجموعة من التصورات التي اختلقها هو ولم نقل بذلك أبدًا، فلم نقل أبدًا أن أبابكر أو عمر أو غيرهما قد نافقوا، فقد كانوا رجالاً مؤمنين إلا أن الشيطان لعب برؤوسهم فاغتصبوا حق علي عليه السلام، ولو كان الأمر على غير ذلك فلم نعاشر سائر المؤمنين وتعايش معهم، نتزوج منهم ونزوجهم بناتنا، نصلي على جنائزهم ونأكل ذبيحتهم ونصلي خلف أئمتهم؟..

لكن مهلاً...

هذا تناقض كبير؛ أن تزعموا بأن فلاناً كان مسلماً صادقاً لكنه كان ينكر جزءاً من رسالة الرسول ﷺ. قد يعد من لا يصلي مسلماً ولا يقال عنه بأنه كافر ملحد، أما من ينكر الصلاة ويحدها فهو كافر خارج عن الملة بالإجماع. وأنتم تقولون بأن هذه الآية نزلت في حق علي عليه السلام: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 67].

انظروا إلى مدى خطورة الأمر؛ فتفسيركم للآية يقول بأن الرسول ﷺ هُدد من قبل الله ﻋﻠﯿﻚ إن لم يبلغ الناس أن علياً خليفته من بعده فكأنه ما بلغ رسالته، وأن الله يعزله عن مقام النبوة، هذا عمن لم يبلغ، فما رأيك فيمن عرف الأمر لكنه رفضه وتجاهله وأنكره وجحده وقام وجلس مكان علي عليه السلام؟!

تعتقدون أنه قد سمع أبوبكر وعمر والصحابة كلهم أن الرسول ﷺ يصرح بخلافة علي من بعده وأنه يأمرهم باتباعه. وتزعمون؛ أن أبابكر وعمر والصحابة كلهم رأوا بأعينهم أن الرسول ﷺ صعد على مرتفع من الأرض ورفع يد علي عليه السلام وقال كل ما تزعمون.

مع كل هذا لم يتبعوا الرسول ﷺ ولا علياً، بل أنكروا الأمر كله؛ أنكروا أن يكون

الرسول ﷺ قد قال ما قال، وأنكروا الحديث والقرآن، تجاهلوا قول الله ﷻ وأمر الرسول ﷺ،
فكيف تعدونهم مسلمين؟!

إذا أظهرتم بألسنتكم أنكم لا تكفرونهم فقد أثبتتم كفرهم ونفاقهم من خلال ما تنسبونه
إليهم من أعمال توجب الكفر. وكتبكم تمتلئ بالعبارات والجمل التي تصرح بكفر صحابة
الرسول ﷺ.

أما أنكم تصلون خلف أتباعهم وتزوجون منهم وتحضرون جنازتهم، فلأنكم تؤمنون بالتقية.
وإن لكم أن تجيبوا؛ لماذا تقومون بمثل هذه الأعمال مع ما تعتقدونه فيهم من الكفر
والضلال؟!

اكشفوا للناس عن هذه التناقضات التي تظهرونها في أعمالكم وأقوالكم...

(٥)

لماذا لم يختار الرسول ﷺ خليفته من بعده؟

من أهم الأمور التي يتشبهون بها، هي:

كيف يمكننا أن نتصور بأن الرسول ﷺ يسكت عن أمر خطير كهذا، ويترك أمته كقطع بلا

راع؟

ومن الأصول الثابتة التي لا تقبل النقاش عندهم؛ أن الأرض لا تخلو من حجة الله أبداً، ومن

هنا يقولون: «يستحيل أن يغير هذا الأصل الثابت بعد وفاة الرسول ﷺ».

ويعضون على هذا الأصل الثابت الذي لا يتزعزع (!) بالنواجذ ويرونه من البراهين القوية

والأدلة الثابتة. لكننا على المنهج الذي اتفقنا عليه نحاول أن نبحث في هذه النقطة كذلك، لنرى

هل يثبت هذا القانون عندهم أو تطرأ عليه التناقضات كسائر أدلتهم.

مع الأسف الشديد نرى بأنهم هنا كذلك وقعوا في التناقض والتضاد:

فهم يقولون من جهة؛ أنه يستحيل أن يخلو العالم من حجة الله ويبقى الكون من دون قائد،

فمن هنا لا يمكن أن يبقى أمر مهم كخلافة الرسول ﷺ مسكوتاً عنه. ومن جهة أخرى؛ نرى

بأن العالم اليوم - حتى عندهم - يخلو من «الحجة»، وأن خلافة الرسول اليوم أصبحت أمراً

معلقاً لم يحل بعد! كيف ذلك؟

يقول علماء الشيعة أن الله ﷻ اختار علياً عليه السلام خليفة للرسول ﷺ، واختار من بعده الإمام

الحسن ثم الإمام الحسين ثم الإمام السجاد... إلى الإمام المهدي، اثني عشر خليفة

لِلرَسُولِ ﷺ.

ونحن نجاريهم في ذلك ثم نقول:

أين الإمام المهدي اليوم؟

لماذا تركنا الله ﷻ دون قائد يقودنا؟

وإذا كنتم ترون أن ترك الأمة من دون خليفة منصوب عليه من الله ﷻ يعد طعنًا في عدل الله ﷻ، فمن باب أولى يعد طعنًا في عدالته ﷻ أن يتركني ويترك أمثالي وأمثالكم ممن بعد عهدنا بالنبي ﷺ دون راع يرعانا ودون قائد يقودنا ودون خليفة للرسول ﷺ يقوم بيننا ويصلح أمرنا ويرشدنا نحو الحق!

لعلكم تقولون بأن الله ﷻ لم يتركنا هملًا، وإنما عيّن الإمام المهدي الحي الحاضر يقودنا اليوم.

فيطرح سؤال نفسه: أين هو لنسأله عن الحق المبين، لثلا يبقى لنا في الأمر شيء؟!!

بماذا ستجيبونني يا إخواني الشيعة؟ أستم تقولون بأنه قد اختفى خلف ستائر الحجب ولا يمكننا الوصول إليه، ويجب علينا أن نرجع إلى القرآن وأحاديث الرسول ﷺ وروايات الأئمة في حل مشاكلنا...

رحمكم الله وهداكم وإيانا إلى الحق المبين، فقد عدتم إلى ما نقوله...

تسمحون للإمام المهدي أن يختفي وراء ستائر الغيب ولا يعين لنفسه خليفة ويترككم من دون قائد يقودكم ولا ترون في ذلك طعنًا في عدالة الله ﷻ، فلماذا تنكرون علينا قولنا بأن الرسول ﷺ لم يختار خليفة من بعده وذهب وقد ترك فينا القرآن والسنة، وترون في ذلك نقصًا وطعنًا في العدل الإلهي؟

بدأت الحكاية فيكم أن اخترتم للمهدي من ينوبه، ولعبتم بعقول الناس سبعين عامًا -متوسط عمر الإنسان - ولما لم تجدوا الساحة متلائمة لظهوره أطلتم عمره وأبطلتم وجود من ينوبه، وفي النهاية اتضح لنا جميعًا بأنه لا قائد يقودني أنا ولا قائد يقودك أنت أيها القارئ، ويجب علينا أن نجلس ونختار لأنفسنا في ضوء هدايات القرآن وقواعد السنة من يقودنا.

وهذا ما قام به إخواننا الشيعة أنفسهم، ويقومون به إلى الآن؛ فقد اختاروا الخميني قائدًا لهم، ثم اختاروا مجلس الخبراء - مجلس الشيوخ (مجلس خبرگان)-، [ومجلس الخبراء اختار خامنئي خلفًا للخميني]؛ فإذا كنتم ترون بأن المهدي حي وأمره مطاع فلا حاجة للانتخاب إذن، فمن نحن

حتى نتجراً على الله ونختار من عندنا من يقودنا والقائد المنصوص عليه من الله ﷻ بين أيدينا؟! فلما كان الرسول ﷺ حياً بين ظهراني الصحابة لم يكن أحد منهم يتجراً على الترشيح أو الانتخاب، فقد كان الرسول ﷺ يختار القادة بنفسه، وكان أمره مطاعاً لا يخالفه أحد من العالمين، إذ لم يكن الناس قد اختاروه نبياً أو قائداً لهم، فقد كان رسولاً مرسلًا مختاراً من الله ﷻ...

فطالما أننا نحن الذين نسمح لأنفسنا أن نختار من بيننا من يقودنا، لماذا لا نسمح للصحابة أن يختاروا من بينهم من يقودهم؟!

وهذا تناقض وتضاد واضح، فهم بعد ألف دليل وبرهان وجدل وصلوا إلى ما قلناه. ومن الطريف المضحك في الأمر أنه يوم أن مات الخميني في إيران لم يكن قد اختار لنفسه من يخلفه، ولعل ذلك كان بحكمة من الله ﷻ إذ جعله يخلع «منتظري» من خلفه، ويموت ولا خليفة له. فاجتمع عظماء إيران واختاروا قائداً جديداً لأنفسهم يدعى «خامني».

لم يستلم القائد الجديد «خامني» حكم قيادته لا من الله ﷻ ولا من الإمام المهدي ولا حتى من القائد الذي سبقه!!

هداكم الله يا إخواني! أو ليس إمامكم وقائدكم صنع ما ترونه محالاً؟ فقد قلتم أنه يستحيل أن يذهب الرسول ﷺ دون أن يعين قائداً يقود الأمة، وقد ذهب إمامكم ورئيس دولتكم دون أن يختار من يخلفه..

يقولون: «لم يختار الخميني خليفة لنفسه، لأن الدستور للدولة كان قد وضع، وكان هناك مجلس الشيوخ - مجلس الخبراء - وكان بإمكانهم أن يختاروا من يخلفه، وقد اختاروا».

فتساءل: هل كان دستوركم هذا أدق من القرآن الكريم؟!

فقد أمر القرآن الكريم المسلمين أن يدبروا شؤون حياتهم بالشورى، وعلى أساسه اجتمع الناس بعد الرسول ﷺ واختاروا من يخلف نبيهم، واتفق الجمهور على خلافة أبي بكر رضي الله عنه، ومن لم يرض به لم يقدر ثورة ولم يستل سيفاً؛ إما أنه سكت، وإما أنه ترك المدينة طواعية.

لا أريد أن أدخل في متاهات السياسة، وإنما أريد أن أشير إلى أن الشيعة لا يمكنهم أن يعملوا حرفياً بما يقولونه أو يتحركوا في إطار اعتقاداتهم حتى ولو وصلوا إلى الحكم؛ وذلك لأن التضاد

والتناقض قد امتزج مع أساس اعتقاداتهم، والكل يدرك بأن الضدان لا يجتمعان ولا يمكن أن يتحقق شيان متناقضان عملياً في نفس الوقت، وإن حاولنا أن نجعلهما نظرياً في إطار التأويلات والتفسيرات والجدل المتكلف.

وليس ما قلته تفلساً للتهرب من السؤال الذي طُرح: «لماذا لم يختَر الرسول ﷺ خليفة من بعده»؟، وإنما أردت أن أبين التناقضات الموجودة لدى إخواننا الشيعة قبل أن أخوض في سرد بعض الأدلة التي تجيب على التساؤل السابق:

(١) لم يترك الرسول ﷺ أمته دون من يقودها، ودون من يرشدها، فقد ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وقد ترك الرسول بين صحابته قرآناً كُلف بإبلاغه من قبل الله ﷻ، وقد ظل القرآن طوال القرون الماضية وسيظل إلى يوم الدين كتاب هداية وارشاد للأمة، وهو كتاب سهل ميسر يفهمه الناس ولا تخفى عليهم أوامره، ولا يصعب عليهم إدراك قوانينه، وقد كرر الله ﷻ أربع مرات في سورة واحدة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧-٢٢-٣٢-٤٠].

ومن سمات هذا القرآن أن الله ﷻ قد تكفل بحفظه، فلا يمكن أن يعتره عليه تحريف ولا تبديل، ولا أتصور أن أحداً يناقشنا في هذا الأمر، فقد كان القرآن الكريم وسيرة الرسول ﷺ وكلامه -الذي حفظه الصحابة في صدورهم ثم دُوّن في الكتب الحديثية- مصابيح تنير الدروب أمام الأمة وستظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فمن الظلم والخطأ الواضح أن يزعم أحد أن الرسول ﷺ ترك أمته كقطيع بلا راعي.

(٢) لقد أمر القرآن الكريم والسنة المطهرة المسلمين أن يتشاوروا في أمورهم، وقد قال تعالى في محكم كتابه: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

وقد عمل الصحابة بهذا الأمر واختاروا من خلال الشورى من يخلف نبينهم، ووفقه الله في ذلك.

(٣) إذا دققنا النظر في الأمر ندرك كمال الحكمة النبوية التي تكمن في عدم اختياره ﷺ من يخلفه من بعده:

فقد اختار الرسول ﷺ في حياته في عدة مواقف من ينوب عنه. فمثلاً: إذا خرج للجهاد من

المدينة، كان يختار من ينوب عنه على إمارة المدينة، وكان إذا أرسل سرية أو جيشاً ولم يخرج معه يختار لهم أميراً، وإذا ارتكب أحدهم خطأ تبرأ إلى الله من خطئه، وقام بتعويض ذلك. وفي إحدى المعارك عين الرسول ﷺ خالد بن الوليد أميراً على الجيش، وقد هجم خالد على جيش الكفر وأنزل إليهم بأساً يليق بشجاعته، وفي هذه المعركة أرادت بني جذيمة أن تقول: «أَسْلَمْنَا فَقَالَ: صَبَأْنَا صَبَأْنَا، فجعل خالد بن الوليد يقتل فيهم. ولما وصل الأمر إلى رسول الله ﷺ، رفع يديه وقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ»^(١)، ثم أمر الرسول ﷺ أن تدفع دية كل مقتول إلى أهله^(٢).

لماذا قال الرسول ﷺ هذا الكلام؟ فلم يكن الأمر يتعلق به؟ فقد كان دم الرجل على ذمة خالد.

لا، ليس الأمر كذلك؛ لأن خالدًا كان أميرًا عينه الرسول ﷺ، أو بعبارة أخرى كان خليفته على جيشه، فأمره يُعد أمرًا من الرسول ﷺ، وعمله يعد عمل الرسول ﷺ؛ ولهذا لما أخطأ خالد ثار الرسول ﷺ وأصلح خطاه مباشرة.

تصوروا معي لو أن خالدًا كان خليفة اختاره الرسول ﷺ ليخلفه بعد وفاته، وافترضوا أن هذا الأمر وقع بعد وفاة الرسول ﷺ فهل كان أحد يستطيع أن يعترض على خالد الذي اختاره من لا ينطق عن الهوى، واصطفاه لخلافته من بينهم، بل إنه كان سيصبح هذا العمل شرعاً يقتدى به، وقانوناً لا يناقش. وتصوروا أن خالدًا كذلك كان يختار خليفة من بعده، وهو كذلك

١ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: «أَسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَأْنَا صَبَأْنَا، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِّنَّا أَسِيرَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ أَمْرٍ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلَّ رَجُلٍ مِّنَّا أَسِيرَهُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي، وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِّنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرْنَا، فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ». (صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ ص خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ، ج ٥، ص ١٦٠، ح ٤٣٣٩، وكتاب الأحكام، «باب إِذَا قَضَى الْحَاكِمُ بِجَوْرِ أَوْ خِلَافِ أَهْلِ الْعِلْمِ فَهَوَّ رَدًّا»، ج ٩، ص ٧٣، ح ٧١٨٩).

٢ - انظر: سيرة ابن هشام ج ٢، ص ٤٣٠، ودلائل النبوة للبيهقي، ج ٥، ص ١١٤.

ارتكب خطأ واحداً فيصبح قانوناً، وهلمّ جرا.

لو استمر الأمر على هذا المنوال إلى يومنا هذا وثبت عن كل خليفة خطأ واحد، فتصور معي كم الأخطاء التي كان من الممكن أن تصبح قوانين ثابتة وشرعاً مطاعاً؟!

وقد أدرك الشيعة هذه الثغرة فحاولوا أن يرقعوها بأن جعلوا خلفاء الرسول ﷺ معصومين(!)، وهذا رأي فاسد لا يصح أبداً، وذلك لعدة أسباب:

أولاً: أن ما حدث كان غير هذا، فقد صدر من خالد خليفة الرسول ﷺ في تلك الواقعة خطأ أثار غضب الرسول ﷺ.

ثانياً: لا يمكن أن يكون المرء معصوماً إلا إذا اتصل بالوحي من الله ﷻ، وحتى النبي ﷺ لو لم يكن متصلاً بالوحي كان من الممكن أن يخطئ؛ فمثلاً، فقد أراد الرسول ﷺ أن يصلي على المنافقين ويقوم على قبورهم، فنزل الوحي يرشده: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤].

وكذلك صحح الوحي موقفاً آخر للرسول ﷺ في هذه الآية: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة: ٤٣].
وأمثلتها كثيرة في السيرة النبوية.

فقد اختار الله ﷻ نبيه ليكون أسوة لنا نقتدي به في حياتنا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، فكان الوحي يهذب أعماله ويصوبها ويصححها إذا لم تكن كما يريد الله ﷻ ليكون الرسول ﷺ نسخة من القرآن الكريم وليعيش حياة بشرية كما أرادها الله للامة، فمن هنا نحن نقول بأن الرسول ﷺ كان معصوماً، أي كان بريئاً من الأخطاء والمعاصي.

لكن خليفة الرسول ﷺ لا يمتاز بهذه السمة، فمثلاً: لو كان علي خليفة منصوباً عليه من الرسول ﷺ فكان من الممكن أن يصدر منه خطأ - ولو واحد - ليكون شرعاً لمن بعده وقانوناً ثابتاً.. وهلمّ جرا، كما ذكرنا سابقاً..

وأخطر من هذا فمن الممكن أن تتعارض أخطاء الخلفاء تمامًا، حيث يعمل الخليفة اللاحق خلاف ما قام به السابق وكل هذه تصبح قوانين تحير الأمة وتجعلها لا تميز الحق من الباطل. فكان من الممكن أن يعمل الإمام الحسن عملاً كان الإمام علي يعارضه، أو يعمل الإمام الحسين ما لم يكن يرضاه الإمام الحسن، وهكذا.. كان سيظهر لنا مئات الأئمة والقادة كل يعمل بفتواه واجتهاده، وكانت الأمة ستضيع في متاهات هذه الخلافات التي تعتبر كلها قوانين ثابتة لا يمكن نقاشها في ظل عصمة القادة!

وهذا ما يعاني منه - فعلاً - التاريخ الشيعي، ويجب عليه أن يوضحه للناس: فلماذا حارب علي معاوية وصاحبه ابنه الإمام الحسن؟

فاضطر علماء الشيعة أن يكتبوا كتباً ويؤلفوا مجلدات ضخمة لتأويل هذا التضاد والتناقض الذي يواجوه، وكل ما كتبوه لا يقنع القارئ اللبيب!

ولهذا لم يختار الرسول ﷺ خليفة من بعده لثلاثي يحمل خطأه على الإسلام، فأصبحنا نحن المسلمين نرجع في كل قضايانا إلى القرآن والسنة الثابتة من الرسول ﷺ، ولا نقدر رأي أحد من الناس مهما بلغ شأوه وشأنه، حتى وإن كان أبوبكر رضي الله عنه، فلا نبالي بقول أي إنسان إن خالف القرآن أو السنة، ولسنا نرى أنفسنا أتباعاً لأحد مهما كان، إلا القرآن والسنة النبوية الصحيحة.

حاول علماء الشيعة أن يتهربوا من هذه المعضلة، وهذا التضاد فزادوا الطين بلة ووقعوا في فخ خطير جداً حيث ادعوا أن خلفاء الرسول ﷺ كانوا معصومين أبرياء من الخطأ والمعاصي، وكانوا على صلة مع الله ﷻ «بالإلهام». وفرقوا بين «الإلهام» و«الوحي»، فالنبي عن طريق الوحي يستطيع رؤية الملك ويسمع صوته، ولكن الإمام عن طريق الإلهام يسمع صوت الملك ولا يراه، وبذلك أنكروا - دون أن يدروا - أن يكون الرسول ﷺ خاتم النبيين، وأن يكون القرآن كتاب الله الكامل الجامع، أو أن يكون الدين قد اكتمل، وإن كانوا في ظاهر الأمر يعتقدون بالقرآن وختم النبوة!!

يأتي إنكارهم لعقيدة ختم النبوة من أنهم يؤمنون بأن الله ظل يوحى عن طريق ملائكته إلى

خلفاء الرسول ﷺ كما كان يوحى إلى خلفاء موسى عليه السلام، أما كيفية الاتصال فليس أمراً ذي بال، سواء سميناه وحيًا أو إلهامًا أو فاكسًا أو هاتفًا، الذي يهمننا هو الهدف أو النتيجة.

المهم أنهم يقولون بفحوى اعتقادهم أن الهدايات الربانية والإرشادات الإلهية - أي دين الله، على خلاف ما نعتقده - لم تكتمل بعد، وظل الإلهام إلى الخلفاء - أي الأئمة - يكملها بعد الرسول ﷺ. وهذا إنكار واضح لأصل «ختم النبوة»، و«إكمال أحكام الدين بالقرآن».

ويزيد الطين بلة أنهم يؤمنون بكتب مُلهمة من عند الله، أمثال: الجفر والجامعة والصحيفة الفاطمية.. ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾!

نشأ كل هذه المسائل نتيجة جعلهم خلافة علي عليه السلام مدار اعتقادهم ومحورها، وأوقفوا أنفسهم للدفاع عن هذا الأصل الثابت عندهم ولم يبالوا إن كان دفاعهم يؤدي إلى الطعن في رسالة الرسول ﷺ وأنه خاتم الأنبياء والطعن في إكمال القرآن الكريم! من هنا اتضح لنا لماذا لم يختَر الرسول ﷺ خليفة من بعده.

فخلاصة ما قلناه: لم يختَر الرسول ﷺ خليفة من بعده، ذلك لأن الخليفة لم يكن يوحى إليه، فلم يكن معصومًا من الخطأ، وكان من الممكن أن يخطئ فينسب خطؤه إلى الإسلام، لأنه اختير من قبل المعصوم ﷺ.

ولا يمكن أن نقبل ما يزعمه الشيعة من أن خلفاء الرسول ﷺ [أي الأئمة الاثني عشر] كانوا معصومين، وكانوا متصلين بالله ﷻ عن طريق الإلهام، لأن قبول هذا الكلام يعني إنكار ما قاله الله ﷻ في سورة الأحزاب: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وإذا قلنا إننا نقبل الآية ونقول بنزول الإلهام على علي عليه السلام، فقد ناقضنا أنفسنا، ووقعنا في التضاد، ولا يمكننا أن نرضى بدين فيه التضاد والتناقض؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلُفْرَعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

أي إذا لم يكن من عند الله، فكان فيه الخلاف والتضاد لا محالة.

(٦)

لماذا استعجلوا؟!

ومن ماخذهم: لو لم يكن الصحابة يدبرون مؤامرة اتفقوا عليها وراء الكواليس، فلماذا أسرعوا في اختيار الخليفة وجثمان الرسول ﷺ لم يُدفن بعد؟! فاستعجلهم في الأمر - قبل دفن الرسول ﷺ - إن دل على شيء فإنما يدل على خدعة ومؤامرة دبروها بالليل! لا ندري ماذا يقصدون بهذا الكلام؟ وماذا يعنون ببث مثل هذه الترهات؟! فهل يقصدون من ذلك الضحك على عقول البشر؟ أم التلاعب بعقول الناس؟ فما تأثير الإسراع أو الإبطاء في تقرير مصير علي عليه السلام خليفة للمسلمين؟! فهم يزعمون أن جميع الناس سمعوا الرسول ﷺ بأذانهم، ورأوه بأعينهم وهو يأخذ بيد علي في غدير خم ويجعله خليفة من بعده.

لكن في سقيفة بني ساعدة لم ينطق أحد بينت شفة ولم يطالب أحد بحق علي، وحتى من عامة الناس لم يرفع أحد رأسًا ولا شكوى. فمن هنا نقول بأن الذين دبروا هذه المؤامرة المزعومة لم يكونوا يخافون بتاتًا من أن التأخير في اختيار الخليفة قد يؤثر سلبيًا فيزداد حب الناس لعلي، إذ كل الناس حسب زعمهم اتفقوا على تنحية علي وتجاهل حقه.

وهل كانوا يتوقعون اقتحام جيش كان يعسكر على أبواب المدينة قد يهاجمهم دفاعًا عن علي، إن تأخروا في الأمر؟!!

فليست هذه الترهات إلا نوعًا من التلاعب بأفكار عامة الناس وتشويه صورة صحابة الرسول ﷺ الأبرار، فلم يكن يؤثر مثل هذا الاستعجال أو الإبطاء في أمر علي بشيء.

وتعالوا نتصور معهم لو أن أمر اختيار الخليفة تأخر إلى ما بعد دفن الرسول ﷺ، فماذا كان بالإمكان أن يحدث؟

لا شك أن هذا الأمر لم يكن ليغير من الواقع شيئاً، كل ما كان عساه أن يحدث -حسب عقيدة الشيعة- هو أن علياً يقوم بين الخلائق ويذكرهم بما سمعوه بأذانهم ووعوه بعقولهم قبل سبعين يوماً من الرسول الأمين ﷺ. لكن ماذا كان يؤثر قول علي في أناس رفضوا كلام الرسول ﷺ نهائياً جهاراً؟ ولا شك أنهم كانوا يضحكون على علي عليه السلام ويضربون بكلامه عرض الحائط. فهل من لم يوقر كلام الرسول ﷺ، ولم يبدي له بالأسف يصغى لعلي عليه السلام؟! فالشيعة يقولون بأن هؤلاء القوم - أي الصحابة كلهم - قبل سبعين يوماً بايعوا علياً وأقروا بخلافته واعترفوا بها، لكنهم في الشورى - في سقيفة بني ساعدة - بعد سبعين يوم فقط نقضوا عهدهم وخانوا وعدهم.

فماذا يؤثر وعظ علي في مثل أولئك الناس؟!

فمن لم يطع أمر الرسول ﷺ، لا شك أنه لن يطيع علياً فيما يقوله، والشيعة يزعمون في مصادرهم أن علياً فيما بعد اعترض على الشورى وعلى اختيار الخليفة، وطالب بحقه، ولكن ذهب كل مساعيه أدراج الرياح ولم تغير من الواقع شيئاً، فبقي الأمر على ما كان.

إذن لم يختلف الأمر بالنسبة لسيدنا علي سواء عجل الناس في اختيار من يخلف رسولهم ﷺ أم أجلوا، ولا ندري ماذا يعني من يثير مثل هذه الشبهة إن لم يكن يقصد من ورائها تضليل الناس وتشويش أفكارهم؟!

لكن حتى لا يبقى في صدورهم شيء، ولئلا يأخذوا من هذا الأمر ذريعة يخدعون بها الناس، نتصفح أوراق التاريخ ليتضح لنا سبب استعجال الصحابة في اختيار من يخلف الرسول ﷺ:

اجتمع أحد قادة الأنصار وهو الصحابي الجليل سعد بن عباد، مع بعض رجال الأنصار في سقيفة بني ساعدة يوم وفاة الرسول ﷺ، وتحدث معهم عن من يخلف الرسول ﷺ، فاقترح عليهم أن يكون الخليفة من الأنصار، وبما أنه أكبرهم ومن قياداتهم فوجد نفسه جديراً لهذا الأمر، ولم يكن اختيار الخليفة قد تطرق إلى أذهان المهاجرين، ولعل لو لا هذا الأمر الذي أحدثه سعد بن عباد لكان أمر اختيار خليفة الرسول ﷺ سيتأخر إلى بعد دفن الرسول ﷺ.

لكن هذا الموقف المفاجئ من سعد بن عباد جعل الجميع يتجهون إلى أهمية الأمر وخطورته،

وإلى ما عساه أن تحدّثه مثل هذه الحركة من سعد، ولم يكن قادة المهاجرين وكثير من الأنصار يرون سعدًا جديرًا بمثل هذا الأمر، من هنا تحرك كثير من الأنصار وكبار المهاجرين لتدارك الموقف، فدخل قادة المهاجرين سقيفة بني ساعدة من دون دعوة مسبقة، ولا حتى برنامج مسبق، ومن دون خطة مرسومة أو مؤامرة مدبرة بليل - كما يزعمون - فحدث نقاش طويل وأخذ ورد في الكلام، لم يذكر خلاله اسم لعليّ أبدًا؛ وكان سعد يصصر على موقفه، لكن قادة المهاجرين أدلوا بدلوهم في بيان جدارتهم بالخلافة وأهمية اختيار الخليفة من قريش، واستطاعوا أن يقنعوا الجميع بما يرونه من وجه الصواب، ثم قام الجميع وبايعوا أبا بكر الذي رشحه عمر وعرفه بأنه أولاهم وخيرهم جميعًا لهذا الأمر.

وبقي سعد يعارض، لكننا بعد دراسة واقع الأمر لا نجد إلا أن نقف في صف من اتفق الشورى باختياره خليفة للرسول ﷺ، أي أبا بكر الصديق الذي اتفق الجميع على اختياره خليفة للمسلمين، دون سعد ودون غيره.

ويتضح لنا هذا الموقف أكثر من ذي قبل من وقوف جمهور الأنصار في صف أبي بكر. أجل، هذا هو عالم التربية النبوية التي ربى رسول الله ﷺ أصحابه عليها، فها هم الأنصار يدلون بآرائهم لاختيار رجل غريب عنهم - أي: من بلد آخر - ليكون قائدهم دون ابن عمهم الأنصاري، هكذا قضت التربية النبوية على التعصبات القومية والنزعات الجاهلية في ذلك المجتمع الطاهر النظيف. (واليوم في إيران - في بلد يهتف بالشعارات الإسلامية، ويرى نفسه حامل لواء الدين المبين - لا يمكن بحال من الأحوال أن يصعد مسلم من بلد آخر مها علا شأنه على كرسي القيادة البتة).

ولو اجتمع الأنصار على ابن عمهم سعد بن عباد ووقفوا بجانبه لم يكن للمهاجرين أن يرفضوا ذلك فلم يكونوا يملكون قدرة يواجهون بها الأنصار، فستصبح الخلافة للأنصار دون منازع.

ويا ليت من يتهم صحابة الرسول ﷺ بحب الجاه والتعصب للقبيلة والنزوع إلى الأعراف والتقاليد العشائرية أن يدقق في موقف الأنصار هذا؛ كيف قدموا الخلافة التي كانت لقمة سهلة

بين أيديهم إلى رجل من قبيلة أخرى بل ومن بلد آخر... فهل بعد هذا يستطيع عاقل أن يتهم الأنصار بالتغاضي عن أمر الرسول ﷺ، ورفض خلافة علي عليه السلام، والوقوف بجانب رجل آخر اغتصب حقه.

حقًا استدلالهم يجعل الحكيم حيرانًا، وكأنهم يقولون: إن سارقًا كان يتصدق بما سرق ابتغاء وجه الله!

إذا كان الاستعجال في أمر اختيار الخليفة أمرًا مذمومًا، فلا يوجه اللوم إلا إلى سعد بن عبادته وحده، لا إلى الصحابة كلهم، وإن كنا لا نتجرأ نحن أن نلوم الصحابي الجليل سعد بن عبادته، بعد ما تبين لنا أنه لم تكن هناك أية مؤامرة ولا خديعة ولا مكر - كما يزعمون - وإنما كان اجتهادًا من سعد واقتراحًا قدمه إلى بني قومه وقبيلته، ولم يكن في الأمر استعجال ولا استغلال للموقف.

فقد كان مجتمعهم مجتمعًا راقياً تحكمه التربية النبوية، وقد كانوا يرون في الموت رحلة إلى ما لا بد منه، ويرجون للميت الخير وكانوا يعيدون كل البعد عن طقوس العزاء وتمزيق الثياب وضرب الصدور وشق الجيوب والصراخ والعويل وغيرها ويرونها من العادات والرسوم الجاهلية، ولم يكن جثمان الرسول ﷺ مرمياً على الأرض، وإنما انشغل بغسله وتدفينه خيرة أهل بيته. ففي مثل هذه الظروف الهادئة - مع عظم المصيبة - لماذا نلوم سعدًا لو انشغل بأمر آخر؟!

ونتساءل: لماذا لم يحضر علي عليه السلام بنفسه إلى الشورى ليقف سدًا منيعًا في وجه تلك المؤامرة المزعومة، كان بإمكانه أن يحضر ويذكر الناس بما كان بينهم وبين رسولهم ﷺ قبل سبعين يومًا في غدير خم. فلم تكن قضية الشورى وما كان يدور في سقيفة بني ساعدة سرًا لا يعرفه أحد، وكان بإمكانه أن يحضر مثل عشرات آخرين ويذلي برأيه ويطالب بحقه. فهل كان هناك أمر أهم من هذا؟

هل تكفين الرسول ﷺ وغسل جثمانه - مع وجود أناس آخرين يقومون بهذا الأمر - أهم من ضلالة الأمة كلها؟!

فقد كان بإمكان علي عليه السلام أن يوكل أحدًا من أهل بيته ليقوم بتكفين جثمان الرسول ﷺ

ويذهب إلى الشورى ليتدارك الأمر. ولماذا لم يحضر هؤلاء الأربعة أو الاثنا عشر من أتباعه الصادقين إلى السقيفة، وإن كانوا قد حضروا فلماذا سكتوا؟ وأين كان بنو هاشم؟

ألا يدل كل هذا على أن هذا الادعاء لا وجه له من الحقيقة، ولم يدع علي عليه السلام يوماً أنه خليفة منصوب من الله تعالى، ولا أن الرسول صلى الله عليه وآله قد اختاره خليفة من بعده؟

لعل أحداً يقول: كيف يستطيع المرء أن يترك جثمان الرسول صلى الله عليه وآله وينشغل بأمر كهذا، فهل كان علي مثل سعد لتصرفه الإمارة والكرسي عن تجهيز جنازة الرسول صلى الله عليه وآله؟

والجواب: إن الخلافة ليست كرسيًا يحجز أو مقامًا يُطلب، وإنما كانت واجبًا كُلف به علي عليه السلام بأمر من السماء، فطلبه عبادة وواجب لا يمكن لمثل علي أن يتهاون فيه، وكان ينبغي لعلي وهو يرى الأمة على الهاوية تكاد تنحرف فتضيع كل الجهود التي بذلها الرسول صلى الله عليه وآله وتذهب رسالته أدراج الرياح أن يحضر إلى الشورى ليقول كلمته وليطالب بحقه أو بواجبه.

ولا يعد الاستعجال في اختيار القائد أمرًا مستهجنًا في أعراف الناس والدول، فلو كان كذلك لم تعلن الجرائد الحكومية والإعلام الرسمي في إيران عن اجتماع مجلس الشيوخ - مجلس خبرگان - مباشرة بعد وفاة الخميني واختيار «خامني» مرشدًا عامًا لإيران.

اجتمع أعضاء مجلس الشيوخ الإيراني على أجنحة الريح بعد وفاة الخميني مباشرة في طهران، ولم يحضروا على جثمان قائدهم وإنما اختاروا من يخلفه أولاً - والصحابة على الأقل ودعوا رسولهم وحضروا على جسده وقبلوه - حتى ابنة الخميني نفسه قبل أن تفكر في أبيها كانت تفكر في إمارة أخيها، ففي اليوم التالي من وفاة الأب وقبل أن يدفن صرحت لمراسل أمريكي: «... قال والدي بأن أخي يستطيع أن يخوض ميدان السياسة بعد وفاته...».

إذن لا يعد الإسراع في اختيار الخليفة الجديد عيبًا، ولو كان كذلك لم يكن علماء الشيعة يقلدوا الصحابة فيه بعد أربعة عشر قرنًا من الزمن!

ويوم أن مات «الخميني» كان «رفسنجاني» هناك، فقام يخطب في نساء الأسرة يقول لهن: أسكتن! ينبغي أن نفكر في حفظ النظام الذي أسسه «الخميني»!

نرى بأن الموقف الجليل الذي يبعث على الحزن والبكاء، إذا تعارض مع المصالح الخطيرة

واختيار الخليفة تُمنع النساء عن البكاء والعيويل رغم شغف الشيعة بالبكاء والعيويل على الميت.
ونعيد مرة أخرى بأن موقف الصحابة لم يكن مع الإسراع في اختيار الخليفة، ولو لا موقف
سعد بن عباد واجتهاده الشخصي، لعل الأمر كان يترك إلى ما بعد دفن الرسول ﷺ.
مع ذلك لم يهمل الصحابة جثمان الرسول ﷺ؛ فقد رجع الناس من سقيفة بني ساعدة بعد
عقد الشورى وانتظروا إلى أن حضر سائر الناس من أطراف المدينة والبوادي القريبة، وشاركوا
جميعاً في دفن الرسول ﷺ.

أيًا كان الأمر؛ فقد وصلنا في بحثنا هذا إلى أنه سواء كان انتخاب الخليفة قبل تجهيز الجنازة أو
بعده، لم يكن يغير شيئاً في حق علي عليه السلام لأنه لم يكن مرشحاً للخلافة أبداً. وزيادة على هذا، قد
وضحنا بأن إثارة القوم لشبهة استعجال الصحابة في أمر اختيار الخليفة ليس إلا محاولة منهم
لبث الشكوك وإثارة الشبهات حول الصحابة على أنهم تأمروا على اغتصاب حق علي عليه السلام،
وعلى أنهم لم يبالوا بالرسول ﷺ وجثمانه الطاهر، وأنهم كانوا يحاكون المؤامرات تلو المؤامرات
للقضاء على الإسلام!!!

(٧)

القرآن وأعداء الصحابة

يقول المولى عليه السلام: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي؛ أصحابه الذين كانوا يرافقونه.

فالله عليه السلام أثنى على صحابة الرسول عليه السلام وذكر من أوصافهم أنهم ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، وأنهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

ثم ذكر من صفاتهم أنهم يكثر من الصلاة، ف﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾، وأنهم لا يريدون بعبادتهم إلا وجه الله عليه السلام، فهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، أي؛ أن الله عليه السلام يشهد على إخلاصهم وحسن نواياهم..

ويزيد على ذلك: أن آثار الطاعة تظهر على معالمهم ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ وفي النهاية يبشرهم بما أعده لهم من المغفرة والرضوان ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾.

وفي هذه الآية كذلك شبه الله عليه السلام صحابة الرسول عليه السلام بغرسة بدأت تنمو فصارت مع الزمن شجرة لها أعصانها وأوراقها، وقد أعاظ هذا النمو الكفار: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾... هذه هي صورة تطابق الواقع تمامًا؛ فقد كان الصحابة والدعوة الإسلامية في كنف الرعييل الأول

من أصحاب الرسول كغرسه وزرع أخرج شطأه في بداية أمرها، ثم ظهر أمرهم واستقام عودهم في المدينة، ومن هناك بدأ أمرهم يظهر يوماً فيوماً إلى أن فتحوا مكة، ومن بعدها خبير واليمن، ثم دانت لهم الجزيرة العربية كلها ثم انطلقوا، ففتحوا إيران ومصر وبلاد الروم، وقد أغاظ أمرهم الكفار الذين يدبرون ويخططون دوماً للقضاء على شجرة الإسلام.

وقد استنبط الإمام مالك من هذه الآية أن كل من يبغض الصحابة ويغيظه أمرهم فهو كافر. قال: لأن الصحابة يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر.

لعل أحداً من الشيعة يثور فيقول: «أولاً أثبت أنك أخونا ثم طالبنا بالميراث! نحن من البداية ننكر أن يكون أبوبكر وعمر وغيرهما من جملة صحابة الرسول ﷺ، ولا نقبل أن تكون هذه الآية نزلت فيهم».

لكن فيما يبدو لم يدرك هؤلاء أنه قد يسهل التلاعب بكل دليل إلا ما ينطق به القرآن الكريم، فها هو القرآن يفسر نفسه، ونحن نثبت من خلال آية أخرى أن أبابكر رضي الله عنه كان صاحب الرسول ﷺ، وبعد ذلك لا يبقى أمامهم إلا أن يقرروا بالحقيقة الثابتة التي تصرح بأن أبابكر كان صاحب الرسول ﷺ.

يقول الله ﷻ في نص لا يمكن التلاعب به: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠].

جاءت هذه الآية في سياق الهجرة النبوية حيث خرج الرسول ﷺ من مكة واتجه إلى غار ثور يتعد عن عيون قريش... وقد اتفق الجميع بشتى مذاهبهم ونزعاتهم أن أبابكر كان هو صاحب الرسول ﷺ ورفيقه في الغار، وليس هناك خلاف إلا في نقطة جانبية؛ حيث يزعم أعداؤه أنه استعجل ولم يصبر واستولى عليه الجبن والخوف، أما محبوه فيثبتون أنه كان شجاعاً لا يخاف في الله لومة لائم، وقد كان في هذا السفر خير رفيق للرسول ﷺ، يشاطره آلام الطريق ويرفع عنه شدة.. هذا كله لا يعنينا في هذا المقام، ولا هو ما نبحث عنه، وإنما المتفق عليه لدى الجميع أن أبابكر

كان يصاحب الرسول ﷺ في تلك الرحلة، فتشمله هذه الآية: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ...﴾ [الفتح: ٢٩].

فلا يتجرأ أحد أن ينكر بأن أبا بكر كان رفيق الرسول ﷺ وصاحبه، وذلك لأن الآية تصرح بذلك، ولأن التاريخ يقر ذلك. فلا ينكر هذا الفضل إلا جاهل عنيد، فها هي آية أخرى تثبت ما ذهبنا إليه: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْحَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة: ٨٨-٨٩].

ثم يبين الله ﷻ أن الفياء ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨].

ولنا أن نسأل المخالفين: إذا كنتم لا تؤمنون بأن هذه الآيات نزلت في الصحابة، فبالله عليكم فيمن نزلت؟!

ها هو الله ﷻ يتحدث عن المهاجرين وعن المجاهدين وعن المؤمنين، فيا ترى؛ من هم الذين يصفهم القرآن الكريم؟!

فهل يزعمون بأن هذه الآيات كلها تصف أولئك النفر الأربعة الذين - فيما يزعم القوم - بقوا ثابتين على المنهج يساندون علياً ولم يرتدوا كما ارتد الصحابة كلهم؟! وهم: بلال وأبوذر وسلمان ومقداد رضي الله عنهم؟!

ومما يثير أسفنا أن الآية لا تشمل بعضاً من يؤمن بهم الشيعة من الصحابة:

فمثلاً؛ لم يكن بلال يملك مالاً ليخرج من ماله! فقد كان عبداً اشتراه أبو بكر من خالص ماله، ثم أعتقه في سبيل الله.

ولم يخرج سيدنا أبو ذر من مكة؛ إذ أنه لم يكن من أهلها، فقد كان من أبناء البادية، تسكن قبيلته في الصحراء بعيداً عن مكة، قدم إلى رسول الله ﷺ، وبعد أن أسلم رجع إلى قبيلته ودعاهم إلى الإسلام.

وكذلك سلمان كان عبداً لبعض اليهود في المدينة، ولم يخرج من مكة، ولم يجبر يوم أن أسلم على ترك بلده وماله، بل بعد أن أسلم ساندته المسلمون واستطاع أن يشتري نفسه ويتخلص من رق العبودية.

لست - والعياذ بالله - ممن يبين الصحابة أو ينقص من شأنهم أو يشكك في مكانتهم، كلا، إذا لم يكن بلال ضمن من تعنيهم هذه الآية فهناك عشرات من الآيات القرآنية غيرها تتناول بلالاً كذلك، ويفخر التاريخ بقصص بطولاته في الثبات على التوحيد، تلك القصص التي لن تمحى عن ذاكرة التاريخ وتتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل.. وعلى نفس الشاكلة كان سيدنا سلمان وسيدنا أبوذر رضي الله عنهما.. وإنما ذكرت ذلك لأبين مدى جهل علماء الشيعة وابتعادهم عن القرآن الكريم، وعن مفاهيم آياته، فهم لا يستطيعون - أو لا يريدون - أن يدركوا ما تعنيه آيات كلام الله المجيد. وبعد هذه البراهين المتينة يضطر أن نقبل الحقيقة الثابتة، ونقول بأن الآية تشمل أولئك الذين يتهمهم الشيعة بالكذب والنفاق، وأن القرآن - رغم ادعاءات القوم - قد زكاهم واعتبرهم أنصار الله وأنصار رسوله ومصطفاه.

بل أكثر من ذلك قال الله تعالى فيهم: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

والكل يعرف أن الرسول ﷺ لم يكن يخرج إلى الجهاد مع أربعة أشخاص - أو عشرة - فحسب!

كل من وهبه الله شيئاً من العقل أو قليلاً من الإخلاص أو لمحة من البصيرة لا يستطيع تجاهل مثل هذه الحقيقة الواضحة، وسوف يقر لا محالة أن هذه الآيات وما شابهها تصف جميع صحابة الرسول ﷺ.

ومع هذا الاعتراف لا بد أن يلزم نفسه على حب الصحابة وعدم عداوتهم وسبهم أو كرههم أو حمل الضغائن عنهم في صدره، ويلزم نفسه على العمل بهذه الآية الكريمة: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ

هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ [الحشر: ٨-١٠].

وترى هذا الإنسان الذي فتح الله بصيرته على نور الهداية واليقين يقول دوماً: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

انظر وتمعن ودقق النظر في الآية ليتبين لك من هم الذين تتحدث الآية عنهم؟ ومن هم الذين لا تشملهم الآية؟ فالآية لا تشمل الذين يجدون في قلوبهم غلا للذين آمنوا من المهاجرين والأنصار أو تمتلئ صدورهم بالأحقاد والكره والضغائن عليهم...

اقرأ الآية مرة أخرى لترى ماذا تقول؟ وعمن تتحدث؟ ومن تخاطب؟

تقول الآية^(١) أن مال الغنيمة مما أفاء الله على رسوله ترجع إلى أصناف من الناس الذين هم: ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، ثم تشرح وتوضح الأمور أكثر فتقول: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨]. أي؛ كل الصحابة الذين هاجروا من مكة إلى المدينة.

ويستمر الشرح: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٩]. أي؛ كل الصحابة من الأنصار الذين استقبلوا من هاجر إليهم أجمل الاستقبال ورحبوا بهم أحسن الترحيب.

(١) ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَذَٰلِكَ يُكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

ثم في المرحلة الثالثة ذكرت الآية جميع المؤمنين الذين جاءوا من بعد المهاجرين والأنصار - وهذه الدائرة الواسعة تشملني أنا وأنتم كذلك - إذا التزمنا بهذا الدعاء قولاً وعملاً: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: ١٠].

(٨)

القرآن والصحابة

والآن القرآن! ذلك الكتاب الرباني الذي نؤمن به جميعًا.
أجل، القرآن ذلك الكتاب السماوي! معجزة الرسول الأكرم ﷺ، ها هو يتحدث على الملأ
عن الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-.

فقد بينا في الصفحات السابقة عند حديثنا عن عدة محاور، نظرة القرآن الكريم إلى صحابة
الرسول ﷺ، لكننا فضلنا أن نخصص مبحثًا مستقلًا عن دفاع القرآن عن الصحابة، ووصفه
لهم، حتى إذا بقي عند أحد شك أو ريب فيما نقوله، يجد جوابًا شافيًا في هذا المبحث.
يصف القرآن الكريم في العديد من الآيات، الصحابة الكرام بصفات جليلة، وقد رأينا أن
نشير إلى بعض من هذه الصفات إشارات عابرة، لترجع إلى أمثالها في القرآن الكريم إن شئت
المزيد:

١- الصادقون..

قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا
مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨]
أي؛ إن الذين أخرجوا من بلدهم مكة ومن أموالهم ومن ديارهم احتسابًا وابتغاءً لمرضات
الله، هم الصادقون.

فهل بعد أن سمعنا هذه الآية من الله ﷻ يحق لنا أن نقول: لا، إنهم كذابون!!

٢- إن الله بالصحابة رؤوف رحيم..

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ
الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧﴾﴾
[التوبة: ١١٧]

ومن الطريف في هذه الآية؛ أن علماء الشيعة يقولون أنها نزلت في صحابة الرسول ﷺ، لكنهم عادوا ليفسروها بطريقتهم الخاصة فقالوا: إن الإمام الصادق والإمام الرضا فسرا الآية، وقالوا بأن المعنى الصحيح لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧]، هو: «لَقَدْ تَابَ اللَّهُ بِالنَّبِيِّ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ...». ثم يبدأون في شرح الآية فيقولون: فقد كان الرسول ﷺ معصوماً، فلم يرتكب ذنباً ليتوب الله عليه^(١). ومن المستغرب كذلك أنهم يسمحون لأنفسهم أن يقرؤوا الآية بصورتها التي فسروها.

ودعنا نجاريهم فيما يقولون، فيخرج معنى الآية كالتالي: إذا كانت الآية لا تشمل الرسول ﷺ لأنه كان معصوماً لم يرتكب ذنباً ليتوب الله عليه، لكنها - باعتراف منكم - تشمل الصحابة الذين ارتكبوا الذنوب فهل تنكرون ذلك؟!

إذن نستخرج من هذه الآية؛ بأن الله ﷻ قد غفر للمهاجرين والأنصار الذين كادت تزيغ قلوبهم من شدة الحر وهول المعركة، وأنه تاب عليهم لأنه كان بهم رؤوفاً رحيماً، هذا باعتراف منكم وبما نسبتموه إلى من تسمونهم أئمتكم المعصومين، وبتفسير علمائكم.

وقياساً على ما ذهبتم في أن الآية لا تشمل الرسول ﷺ، لأنه كان معصوماً لم يرتكب ذنباً ليتوب الله عليه، لا بد أنكم تخرجون سيدنا علياً كذلك من دائرة من تشملهم الآية، لأنكم تؤمنون بعصمته كذلك، فهو لم يكن مذنباً ليتوب الله عليه، فالآية بهذا المعنى نزلت في سائر الصحابة دون علي عليه السلام.

بعد ما عرفنا بأن الله كان بالمؤمنين رؤوفاً ورحيماً، وبعدهما عرفنا بأن المهاجرين والأنصار كانوا مؤمنين، حان لنا أن نعرف؛ بأن هذه الآية نزلت في غزوة «تبوك» لما خرج المسلمون لقتال الروم، وقد كانت هذه الغزوة قبل أن ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بعام واحد، ويذكر المؤرخون وعلماء السيرة أن عدد الذين رافقوا الرسول ﷺ من صحابته كانوا ٣٠ ألف مجاهد، لا أربعة ولا عشرة أشخاص، وهل يعقل أن يخرج الرسول ﷺ بجيش قوامه أربعة أشخاص أو عشرة ليقاتل الروم!!، من يصر على هذا فله ذلك، ولا نستطيع أن نقنعه بالأدلة والبراهين، ولا

١- الاحتجاج على أهل اللجاج لأحمد بن علي، الطبرسي، ج ١؛ ص ٧٦ (مشهد، ط ١، ١٤٠٣ ق).

يستطيع التاريخ أن يتحدث أمام مثل هذه العقول التي تنكر الشمس في رابعة النهار!

٣- كانوا خير أمة أُخرجت للناس..

قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠]

فيا ترى؛ من هم الذين يخاطبهم الله عزوجل من خلال هذه الآية؟ من هم الذين يشملهم الخطاب القرآني هذا؟

يظهر من السياق أن الآية تخاطب المؤمنين الذين كانوا يعيشون في كنف الرسول ﷺ وبجواره وفي زمنه، فتقول لهم: أنتم خير أمة أُخرجتم للناس، لأنكم تؤمنون بالله وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر.

يشهد الله ﷻ؛ أنهم كانوا خير الأمة وأفضل رجالها..

ويشهد فريق من المسلمين؛ أنهم كانوا شر الأمة وأخبث أفرادها!!

والآن؛ من الذي يمكن أن نصدقه ونسمع كلامه؟ كلام الله ﷻ الذي يعلم السر وأخفى، أم كلام هؤلاء الناس؟!

٤. أولئك هم الراشدون..

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات: ٧].

هذه الآية كشفت لنا بأن الله ﷻ ربي المؤمنين الذين رافقوا الرسول ﷺ، وكان النبي ﷺ يعيش بين ظهرانيهم، وأنه أعدهم لصحبة رسوله الكريم ﷺ، فحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، ثم جعلهم مثال الرشد والهداية ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

وحق لهم أن يكونوا من الراشدين، ويصبح الرشد والصلاح منهج حياتهم ما بقوا على وجه الأرض، فالإنسان الذي زُيِّن في قلبه الإيمان وكُرِّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، لن يميل إلى ما يكرهه من المعاصي. وماذا عسى أن يمنعه من فعل الخيرات والطاعات وهو يجد هواه تجاه الخير - لأن الإيمان حُبَّ إلى قلبه - ولا مانع يمنعه من عمل الخير؟

أجل، يوسوس الشيطان في قلوب البشر فيزين لهم المعاصي والذنوب، لكن في ضوء الآية السابقة لم يقدر أن يعمل ذلك - على الأقل - في قلوب معظم الصحابة، وذلك لأن الله ﷻ حَبَّ إليهم الإيمان وزَيَّنَه في قلوبهم وجعلهم هم الراشدين السابقين في طريقهم إلى الإيمان.. فمن نصدق؟ أنصدق الله ﷻ الذي يقول في صحابة رسوله؛ بأنهم مؤمنون وأن قلوبهم امتلأت بحب الإيمان وزُيِّنَتْ بجمالها وأنهم راشدون في طريقهم.. أم نصدق من يزعم؛ بأن الصحابة كانوا منافقين، وكانت قلوبهم وكراً للكفر والنفاق وكانوا من الضالين؟! لعل أحدهم يقول:

يا عم! إهدأ، لماذا تتهمنا بكل هذه العنجهية والشدة، من قال لك إن هذه الآية نزلت في الصحابة؟

نقول في جوابه:

مطلع الآية الذي يقول: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٧]. من هنا نفهم أن الآية لا تعني إلا أصحاب الرسول ﷺ.

أين كان يعيش الرسول ﷺ؟ بين ظهرائي مَنْ كان الرسول ﷺ؟ أيبيننا نحن أم بين كفار مكة، أم في الروم أو في فارس؟

لم يكن الرسول ﷺ، لا هنا ولا هناك، فقد كان بين صحابته المؤمنين في المدينة المنورة، وقد كان المؤمنون في المدينة هم الأنصار الذين استقبلوا الرسول ﷺ في مدينتهم ورحبوا به خير ترحيب، وفدوه بأنفسهم وأموالهم، والمهاجرون الذين رافقوا الرسول ﷺ في هجرته. فليس هناك أي شك، ولا أدنى ريب في أن الآية تخاطب هؤلاء المؤمنين..

٥- كانوا أنصار الرسول ﷺ ..

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَنْصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

والذين أيدوا الرسول ﷺ وناصروه، وكانوا أداة انتصاراته على كفار مكة، كانوا جيشًا عرمرمًا تجاوز الآلاف، لا بضعة أشخاص، وها هو الله ﷻ يشهد بأنه أيد رسوله بنصره، كما أيد به المؤمنين في مواجهته لمكر الكفار وخدعتهم.

٦- الملائكة نزلت لمساعدة الصحابة ..

قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعَكُمُ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آئِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ [١٢٥] بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آئِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤-١٢٥].

وقال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [١١] إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أْتِي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَاضِرُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَاضِرُوا مِنْهُمْ كُلِّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١١-١٢].

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اللَّتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنَ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣].

كل هذه الآيات نزلت في أصحاب الرسول ﷺ الذين شهدوا بدرًا، وأكثرهم ظلوا أحياء إلى بعد وفاة الرسول ﷺ، فهل أنزل الله تعالى كل هذه الآيات في هؤلاء الناس، ووصفهم بهذه الأوصاف الحميدة وهو كان يعلم أنهم سوف يكفرون بدينه وبتعاليم رسوله؟!!

٧- لا يمسهم السوء ..

لقد هُزم المسلمون في غزوة أحد، ولكنهم ما إن رجعوا إلى المدينة عزموا على الخروج وراء

جيش الكفر - مع كل ما كان أصابهم من الضعف والجروح - ولم يتكاسلوا ولم يتهاونوا، واستطاعوا أن يطاردوا الكفار ويدخلوا في قلوبهم الرعب لثلاثتهم أنفسهم بالكر على المدينة مرة أخرى، فنزلت آيات من القرآن الكريم في حقهم تقول: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ آلِهِمْ وَفَضَّلُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَمَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنقَضُوا بِأَلْفِ عِزَّةٍ أَلْفَ مِائَةٍ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٤]

فقد قال الله تعالى فيهم: ﴿لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾.

وقد شارك عدد كبير من هؤلاء الصحابة في انتخاب الخليفة بعد وفاة الرسول ﷺ، كيف يسمح علماء الشيعة لأنفسهم أن يقولوا فيمن قال الله إنهم ﴿لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾؛ بأن هؤلاء الأبرار ارتكبوا أكبر جريمة في تاريخ البشرية والإسلام، أي؛ رفض حكم الله ﷻ والتلاعب بالنصوص الثابتة واعتصاب الخلافة من الإمام المعصوم المنصوص عليه...

٨- أولئك هم المؤمنون حقًا..

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأنفال: ١٧٤]. ويقول بعض الناس: أولئك هم الكافرون حقًا!!

فيا ترى؛ من نصدق؟ أنصدق القرآن الكريم، كلام الله ﷻ؟ أم نصدق الذين يزعمون أنهم يؤمنون بالقرآن ولا يصدقونه ولا يسمعون له؟!

٩- أولئك هم الفائزون..

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [التوبة: ٢٠].

١٠ - بشرهم الله بالجنة وبرضوان منه ورحمة..

قال الله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة: ٢١-٢٢].

يشرهم الله ﷻ بالجنة وبرضوان منه، لكن فريقاً من المسلمين يبشرونهم بالنار وبئس المصير!!

هل الجنة والنار بأيديهم أم بيد الله ﷻ!؟

١١ - كانوا من المتقين..

قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح: ٢٦]

لا داعي أن نعيد الكلام في هذه الآية، ونصح مرة أخرى من يجد في قلبه شيئاً على جيش الرسول ﷺ وصحابته أن يعيد قراءة الآية الكريمة.

١٢ - رضي الله عن صحابة الرسول ﷺ..

سبق أن قلنا بأن الله ﷻ رضي عن الذين بايعوا الرسول ﷺ في الحديبية تحت شجرة الرضوان، ولم يكن هؤلاء إلا الجماعة المؤمنة التي آمنت بالرسول ﷺ قبل فتح مكة، والتي كانت تتكون من المؤمنين الذين هاجروا مع الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، ومن المؤمنين الذين آوا الرسول والمهاجرين، وقد سماهم الله ﷻ بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وقال تعالى عنهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

تختم هذه الآية على كل الأفواه الظالمة، وعلى كل الأباطيل والأساطير، وعلى كل الافتراءات والترهات، فقد بينت بالحرف الواحد أن الله ﷻ رضي عن المهاجرين والأنصار - السابقين

الأولين - وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وأنهم خالدون مخلدون فيها أبداً، وأنهم أصحاب الفوز العظيم.

هذا هو حكم الله ﷻ فيهم، ولا يضرهم ما يتركبه الجهال من سبهم وشتيمهم ورميهم بالنفاق والكفر..

وهل يتجرأ من يؤمن بالقرآن الكريم، بعد قراءة هذه الآية أن يتفوه بكلمة سوء في حق هؤلاء الصحابة الأبرار الذين رضي الله عنهم، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار...

١٣ - هم أفضل منا لا محالة..

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء: ٩٥].

كلنا نعرف أن علياً وعمر وعثمان وأبأبكر وأبا عبيدة وعائشة والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص وسعد بن عباد وغيرهم الكثير ﷺ آمنوا قبل الفتح، وأن ألفاً من الذين آمنوا بعد الفتح وأنفقوا وجاهدوا - كوائن من كانوا ومهما بلغ شأوهم وشأنهم - لا يساؤون واحداً من السابقين الأولين.

فيا ترى؛ ماذا عسى أن نستفيد من التطاول على من فضله الله علينا؟

والآن، بعد كل هذه الآيات التي ذكرناها، والتي تحدثت عن جهاد الصحابة وعن إنفاقهم وعن أعمالهم وحتى عما في صدورهم وعن إيمانهم، ماذا عسى أن نعمل؛ إذا خرج بيننا أناس يزعمون أنهم يؤمنون بالقرآن الكريم، وأنهم يصدقون آياته، لكنهم لا يستطيعون أن يؤمنوا بصدق الصحابة وإيمانهم؟

أليس هذا تعارضاً وتناقضاً يطعن في مفاهيمهم واعتقاداتهم؟!

(٩)

صفات المنافقين

يتجرأ بعض علماء الشيعة على شطب كل تلك الآيات البيئات الواضحات بقولهم: لا يمكننا أن نصدق أن هذه الآيات نزلت في عمر أو أبي بكر أو غيرهما من الصحابة، لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ فَنُحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١].

نرد على هذه الشبهة كذلك بتوفيق من الله ﷻ:

ارجعوا إلى القرآن الكريم، فستجدون:

أولاً: أن الآية التي سبقت هذه الآية تمدح المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان، فقد قال الله تعالى: ﴿وَالسَّادِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

ثانياً: يقول المولى ﷻ: ﴿وَمِمَّنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ [التوبة: ١٠١] ولم يقل: في المدينة كلهم منافقون ما عدا علي وأبوذر وسلمان ومقداد وبضعة أشخاص.

لكنكم كفرتم الجميع ورميتموهم بالنفاق، بداية من زوجات الرسول ﷺ وأقاربه، إلى آخر رجل من عامة أهل المدينة.

لا يحق لنا أن نتناول على أي إنسان أو نرميه بالكفر والنفاق إلا بالأدلة والبراهين الثابتة، وكيف لنا أن نرمي الصحابة الكرام بالنفاق ونطعن في إيمانهم ونشك في نزاهتهم دون أي دليل، ولأن تقولوا أن هذه الآية أو تلك تشمل فلاناً أو علاناً أو تشمل الصحابة كلهم لا بد أن تقدموا أدلة تثبت كلامكم..

لكن إذا تركنا الناس يتلاعبون في النصوص، وكل يقول فيها ما يشتهي ويتبع فيها هواه، يخرج جاهل مثلكم ويركب دليلكم «في أن أهل المدينة كلهم كانوا منافقين»، ويقول بما قلتهم ويزيد - والعياذ بالله - ويقول: وبما أن علياً كان في المدينة فتشمله الآية، ومن ثم يرميه بالنفاق - تماماً مثل صنيعكم - فهل تقبلون استدلاله وتوافقونه على رأيه؟!!

وأفضل الحلول قبل أن نرمي زيداً أو عمراً بالنفاق هو: أن نكشف الستر عن صفات المنافقين وأهدافهم، ثم نرى هل تنطبق هذه الصفات على الصحابة أم لا..

هذا هو أفضل الحلول الذي يرضى به العقل السليم والمنطق القويم، وإلا فيقول من يشاء ما يشاء، ويتهم أهل الأهواء من يريدونه بما يريدونه، ولا يبقى لأحد احترام ولا قداسة، ولا يسلم أحد مما تتفوه به ألسنتهم.

تعالوا لننظر إلى صفات المنافقين، لا من وجهة نظرنا نحن، بل من خلال ما وصفهم بها القرآن الكريم، فالله ﷻ أدرى بمن خلق:

١ - لم يكن المنافقون يخرجون إلى الجهاد..

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [التوبة: ٨٦-٨٧].

والكل يعرف أن الصحابة ﷺ ظلوا يجاهدون في ركاب الرسول ﷺ بداية من غزوة بدر إلى غزوة تبوك، وبدأ عددهم يزداد يوماً بعد يوم، فقد كانوا في بدر لا يتجاوزون ٣١٤ رجلاً إلى أن بلغوا ثلاثين ألفاً في آخر عام من حياة الرسول ﷺ.

والكل يعرف ويقر بأن كبار الصحابة أمثال: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وطلحة شاركوا الرسول ﷺ في معظم غزواته، وكانوا دوماً تحت إمرته، وإذا حدث أن أحدهم لم يتواجد في ساحة معركة ما، أو في غزوة من الغزوات، لم يكن ذلك لتخلف منه، وإنما لأن الرسول ﷺ قد كلفه بمهمة أخرى.

فهذه الصفة من صفات المنافقين لا نجدها عند صحابة الرسول ﷺ.

٢- يسعون للتخريب والفتنة..

يقول الله تعالى بأن المنافقين إذا خرجوا مع الرسول ﷺ، لا يريدون الجهاد وإنما يريدون نشر الفتنة وبث الهوان في الصف الإسلامي؛ اقرأ معي قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضْعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [التوبة: ٤٧-٤٨].

مثل ما فعله كبير المنافقين ورأسهم «عبد الله بن أبي» يوم أن رجع مع أصحابه من المنافقين من معركة أحد، ليضعف الصف الإسلامي ويقلل من حماس المسلمين.

فإذا زعم أحدهم أن الصحابة كانوا منافقين، فكان يجب في ضوء هذه الآية أن يثيروا الفتن والقلق في الصف الإسلامي، ومع جيش هذا شأنه، ما كان للرسول ﷺ أن ينتصر في أية معركة.

فقد سجل الصحابة كلهم بطولات على صفحات المعارك الإسلامية يفتخر بها التاريخ وتعزز بها السيرة، لا يذكر الشيعة منها إلا بطولات علي عليه السلام، ونحن نقبل ما يقولونه دون غلو وإفراط، وكذلك نعزز بعلي وبيطولاته ونفتخر بها، لكنه لم يكن وحده، فقد كان معه في تلك المعارك أبطال آخرون أدوا أدوارًا عظيمة وسجلوا بطولات جليلة.

فمثلاً تتصفح غزوة خيبر، نجد بطلها المغوار علياً، ولا أحد يستطيع أن ينكر ذلك، لكن أدى غيره كذلك أدوارهم وأثبتوا شجاعتهم وإخلاصهم، فمثلاً في الليالي الأولى من المعركة، أي في الليلة السابعة استطاع عمر أن يأسر يهودياً كشف عن أسرار انتفع المسلمون بها كثيراً في سير المعركة ووضع خططاً لها، فهل نعد عمل عمر هذا فتنة وتخريباً أم شجاعة وخدمة للمسلمين؟

فهذه الآية التي تعرف المنافقين بأنهم كانوا عيوناً للكفار ويسعون لإفساد الصف الإسلامي وتخريب خطته، لا تتوافق مع ما كان يقوم به الصحابة من البطولات والأدوار الإيجابية في سبيل رضى الله ﷻ وابتغاء نصره.

فالآية تتحدث عن قوم آخرين وليس الصحابة الأبرار...

٣- عدم الرضا بأحكام الرسول ﷺ ..

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضًا وَإِنْ لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]

كانت هذه من أبرز الصفات عند المنافقين وما زالت. ولم ترد رواية واحدة - حتى عند الشيعة أنفسهم - أن أبابكر أو عمر أو عثمان ؓ اعترضوا على الرسول ﷺ في تقسيم الغنائم، بل يشهد القرآن الكريم ويقر التاريخ أنهم كانوا ينفقون في سبيل الله آناء الليل وأطراف النهار، ولم يكونوا يبخلون في الله، ولا سيما سيدنا عثمان ؓ الذي فاق الآخرين في هذا الميدان، لما من الله به عليه من المال الكثير والثروات الوفيرة.

فكذلك هذه الصفة من صفات المنافقين لا تتوافق مع سيرة هؤلاء الصحابة الكرام، بل كانوا على العكس منها تمامًا.

٤- المنافق ذليل حقير ..

قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

وهل هناك من لا يدري أن الصحابة كانوا أعز من في المدينة؟ فقد حكموا المدينة، وكانت أمورها وسياستها وقضاؤها وحكمها في أيديهم، وكان أذل من في المدينة عبد الله بن أبي وجاعته من المنافقين، حتى ابنه كان على خلاف معه، وطلب من رسول الله ﷺ أن يأمره بقتله إن كان قد نوى قتله.

فكذلك هذه الصفة من صفات المنافقين لا تتفق مع ما كان عليه الصحابة من العزة والرفعة والمكانة والشأن، فقد كان الصحابة أعزة في عصرهم، وفيما أتصور لم ينجب التاريخ إلى يومنا هذا من كان مثلهم في العزة والمنعة.

٥- لم يخرجوا في قتال الروم ..

قال الله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ

وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾
 فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ [التوبة: ٨١-٨٢].

نزلت هذه الآية في قتال الروم، فلم يكن المنافقون قد شاركوا في تبوك، وكان مع الرسول ﷺ يومئذ ثلاثون ألف مجاهد يقدونه بأرواحهم ويضعون نحورهم دون نحره، من بينهم هؤلاء الصحابة الكبار الذين تمتلئ قلوب الشيعة حقداً وضغينةً وغيظاً عليهم، ولا يمكن أن نعدهم من المنافقين بعد أن وصف الله ﷻ المنافقين بها وصف.

ومن الأوصاف التي وصف الله بها المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّتِكُمْ لَهُمُ الْحَيْرَتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾
 أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾
 [التوبة: ٨٨-٨٩].

إذا كان للناس آذان يسمعون بها، وقلوب يفقهون بها، وصدور تنشرح للحق، فلا بد أن يكونوا قد أدركوا في ضوء هذه الآيات البيّنات أن أعمال المنافقين كانت تماماً على عكس ما كان يقوم به الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-، ولم تتفق أعمالهم ولو مرة واحدة، فكانوا دوماً على خلاف ما كان يؤديه الصحابة الكرام.

ها نحن استمعنا لكلام الله ﷻ وعرفنا الحق من خلال آياته البيّنات واستشهدنا بها لبيان الحق المبين.

لكن من ختم الله على صدره وقلبه وركب عقله وهواه، سوف يتعصب لكلامه ويصر على عقيدته في أن منافقي المدينة لم يكونوا إلا صحابة الرسول ﷺ، ونحن نعجز عن مناقشته، كما قال أحد أئمة الفقه الإسلامي: (ما ناقشت عالماً إلا غلبته، وما ناقشتني جاهل إلا غلبني).

لكننا نشير إلى أن أي إنسان يريد أن يتلاعب بالآيات القرآنية دون احترام للعقل والمنطق السليم، ودون احترام لعقول الناس يستطيع أن يقول كل ما يريد ويهوى، دون خوف من الله ﷻ، ويستطيع أن يطعم كلامه ببعض المفردات القرآنية.

وهذا الذي يزعمه القوم في أن القرآن قال: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ

أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَىٰ النَّفَاقِ ﴿١٠١﴾ [التوبة: ١٠١]، إذن كل الصحابة منافقون، يشبه ما زعمه رجلا ن ادعيا النبوة، كان أحدهم يُدعى نصر الله والآخر فتح الله، ولما سألهما الناس عن دليل نبوتها، قالوا: القرآن الكريم! فاستغرب الناس وسألوا: كيف ذلك؟ قالوا: ألم تقرأوا قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [النصر: ١]، وها نحن نصر الله وفتح الله جننا، ونحن أنبياء الله..

فما يستدل به القوم فيما يرمون به الصحابة من النفاق يشبه استدلال: فتح الله، ونصر الله!

(١٠)

المعارك بين الصحابة

من الأمور التي جعلت الإخوة الشيعة يتعدون عن الحق كثيرًا، هو أنهم لا يستطيعون أن يتحملوا أي خطأ من الصحابة، وكأنهم يجبرونهم على أن يكونوا معصومين، وأن تكون أعمالهم خالية عن الأخطاء، وهذه هي عقيدتهم في علي عليه السلام؛ فهم يظنونهم معصومًا عن الأخطاء والمعاصي.

نحن لا نؤمن بعصمة أحد من الصحابة حتى علي عليه السلام، والمعصوم عندنا هو من عصمه الله ﷻ لإبلاغ رسالته، أي؛ رسول الله ﷺ فحسب، ونرى أن بعض من الصحابة قد أخطأوا وارتكبوا بعض المعاصي.

فها هو حاتم بن أبي بلتعة، صحابي جليل ممن شهد بدرًا وأبلى في سبيل الله بلاءً حسنًا، لكنه عند فتح مكة كتب رسالة يخبر الكفار عن خطط الرسول ﷺ طمعًا في أن يكون له عندهم يد وفضل فيحفظوا أهله وبيته في مكة، ولما كشف الله ستره، وعرف الرسول ﷺ أمره، سأله: «مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟» قَالَ حَاتِبٌ: وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا» فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلَا ضَرْبَ عُنُقِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟» فَقَالَ: «لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ؟» فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ، أَوْ: فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ». فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ^(١).

وهناك من الصحابة من هرب من ساحة القتال، كالذين هربوا في أحد، لكن الله ﷻ غفر لهم

١ - متفق عليه، صحيح البخاري: ج ٥، ص ٧٧، ح ٣٩٨٣، صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٤١، ح ٢٤٩٤.

ذنبهم بنص صريح من القرآن الكريم^(١)، وهكذا.

والآن - من واقع التجربة مع إخواني الشيعة - وكأني ببعض علمائهم يأخذون نفسًا طويلاً ويقولون: ها أنت قد وصلت إلى ما نقوله، وتقول بما نؤمن به - من أن الصحابة قد ضلوا وأخطأوا!-

لا، أخطأتم في الفهم؛ أنا لن أقول بما تقولونه، إنما أبين لكم ما تؤمن به وهو: لا معصوم إلا الرسول ﷺ، أما غيره فيمكن أن يخطئوا ويصيبوا، وقد يجتهدون فيخطئون أو يصابون، لكن احتمال الخطأ لا يعني أن نتهم جميع الصحابة بالذنوب والمعاصي وأن نرmi تبعات جميع الذنوب والأخطاء على عاتق جميع الصحابة..

كما أشرت سابقاً، جاء إفراط علماء الشيعة من خطئهم الكبير يوم أن قالوا؛ بأن القائد يجب أن يكون في مأمن من الأخطاء والذنوب الصغيرة أو الكبيرة، وعلى أساسه قالوا بعصمة الأئمة واتصاهم المباشر بالله ﷻ، واعتبروهم أصحاب العقول الكاملة وقالوا إنهم يعلمون الغيب ويدركون كل العلوم والفنون. ويقولون كذلك؛ بأن علمهم علم لديّ، أي؛ وهبهم الله العلم من لدنه ﷻ وليس مكتسباً من البشر.

وهكذا تدرجوا في مدارج الغلو إلى أن اعتبروا إمامهم العاشر - ابن ثمان سنوات - أفضل من أنبياء الله إبراهيم أو موسى أو عيسى عليهما السلام.

فهذا الإنسان الذي يرى الصبي الذي لم يبلغ بعد - ابن ثمانية أعوام - أفضل من إمام التوحيد وأب الأنبياء وخليل الله إبراهيم عليه السلام، بحاجة أن نفهمه؛ أن الإنسان لا يمكن أن يكون معصوماً عن الأخطاء إلا إذا اتصل بالوحي، وحتى نبي الله محمد ﷺ لو لم يكن الوحي يتداركه ويرشده ويصحح مواقفه لكان بالإمكان أن يقع في الأخطاء. ومثال ذلك:

دخل عمر رضي الله عنه يوماً على النبي ﷺ، فوجده جالساً وبجواره أبو بكر بيكيان، فتعجب من أمرهما وقال لهما: قولاني لماذا تبكيان لأبكي أو أتباكي معكما؟

١ - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ [آل عمران: ١٥٥].

ثم أخبره بأن سبب بكائهما هو تلك الآيات التي نزلت تعاتب النبي ﷺ، لقبوله الفدية في أسرى بدر - وقد كانت هذه مشورة أبي بكر رضي الله عنه - ولم يكن هذا الرأي يرضي الله ﷻ فقال: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨].

ولا شك أن الرسول ﷺ كان يغير مواقفه ويصححها في ضوء ما كان يمليه عليه الوحي.

إذا كان الرسول ﷺ الذي اصطفاه الله ﷻ واختاره لقيادة هذه الأمة، وكلفه بحمل آخر رسالات السماء إلى أهل الأرض قاطبة، لو لا الوحي الذي كان يتداركه في المواقف الحرجة وعند الحاجة لكان من الممكن أن يخطئ في اجتهاداته، فما بالك بالآخرين أمثال؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين؟ فهم بشر يصيبون ويخطئون، فهل من الممكن أن يطالبوا بما يطالب به المعصوم؟!

سبق أن قلنا بأن الشيعة حاولوا أن يهربوا من هذه المعضلة، فقالوا بعصمة الأئمة واتصالهم بوحى الله، بداية من سيدنا علي رضي الله عنه إلى آخر أئمتهم - الإمام المهدي الغائب - لكنهم تفاجئوا بالقرآن وهو يصرخ في وجوههم بأن محمداً خاتم الأنبياء، فتهربوا وغيروا اسم طريق اتصال الأئمة بالسماء مع الحفاظ على شكله، فقالوا: إن علياً كان يتصل بالسماء عن طريق الإلهام؛ ولثلا يعترض أحد فيقول: لماذا غيرتم اسم الوحي بالإلهام؟ قالوا: هناك فرق دقيق بين الوحي والإلهام، ففي الوحي الذي خص به الأنبياء كان الرسول ﷺ يرى الملك الذي يوحى إليه، لكن في الإلهام الذي خص به الأئمة لم يكن علي يرى الملك وإنما يسمع صوته!

وكل عاقل يستطيع أن يشعر بهذا التلاعب بالكلمات والمصطلحات، فيا ترى؛ ما أهمية رؤية الملك؟! والأصل والهدف هو فهم الأوامر السماوية، والمهم هو الاتصال بالله ﷻ على منهج الأنبياء وطريقتهم، وبما أن علياً لم يكن نبياً فلا يليق بنا أن ننسب إليه مثل هذا الكلام الذي يتبرأ هو منه، ولا يليق بنا أن نغير اسم الوحي بالإلهام، ونضع قوانين من عندنا، ونغير دين الله حسب أهوائنا..

الوحي يعني نزول كلام الله ﷻ إلى رسوله سواء كان عن طريق ملك أو بدون ملك، فقد كلم الله موسى مباشرة دون أن يكون هناك واسطة من الملائكة، وها نحن نقول: أوحى الله إلى

موسى. ولا نخترع مصطلحًا آخر لهذه الصلة كما يفعله علماء الشيعة، وكذلك الكلام الذي أنزله الله ﷻ على محمد ﷺ بواسطة ملك كان يراه يسمى كذلك الوحي، وهكذا الكلام الذي كان ينزله الله على علي وغيره - حسب زعمهم - لا بد وأن يسمى وحيًا، لماذا التلاعب بالكلمات؟ وهل يمكننا بهذه الخدع أن نخدع شريعة الله؟!

إذا كنا نرى الرسول محمد ﷺ خاتم الأنبياء فلا بد أن ننكر أفضلية صبي لم يتجاوز ثمان سنوات من عمره على كليم الله موسى عليه السلام، الذي كلمه الله مباشرة دون ملك... وكذلك لا نستطيع أن نفتري ونزعم أن أحدًا جاء بعد الرسول محمد ﷺ معصوم، وقد أوتي العلم كله. ولا بد وأن نقبل بأنه قد يحدث من أولياء الله الصالحين كذلك بعض الأخطاء، ولكن ما يميزهم عن غيرهم من الناس أنهم كلما أدركوا خطأهم سرعان ما يعودون إلى الصواب ويتوبون إلى الله ﷻ ويستغفرونه، وإذا أدركوا خطأهم في اجتهاد أو فتوى سرعان ما يؤوبون إلى رشدهم ويرجعون عن خطئهم، وهكذا كان حال الصحابة رضي الله عنهم.

ذكرنا هذا الكلام، كمقدمة لجوابنا عن سؤالهم؛ فلماذا تقاتل الصحابة فيما بينهم؟

يقول المولى ﷻ في كتابه المجيد: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩].

كما ترى من الآية أنه قد يحدث أن تقاتل فئتان من الناس وكلاهما من المؤمنين بالله ﷻ.

أجل، قد يظلم مؤمن مؤمنًا أو يطغى عليه ويتجاوز على حقه.. وهذا لا يعني أن كل فئتين تقاتلا باسم الإسلام أو الدين نعتبرهما مؤمنين، ولا يعني كذلك أن أحدهما مؤمن والآخر كافر! بل لا بد لنا - أصحاب العقول - أن نحقق في الأمر وندرس القضية ليتضح لنا الحق عن الباطل، ويتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، ومن هذا المنطلق تعال لننظر إلى روابط الصحابة وصلاتهم فيما بينهم:

قلنا إن الصحابة لم يكونوا معصومين عن الأخطاء، وبحكم بشريتهم فقد كان يحدث بينهم

بعض المشاجرات والاختلافات، وكانوا يراجعون الرسول ﷺ فيها، فيحكم فيما شجر بينهم بالعدل، فكانوا يصغون لحكم الرسول ﷺ ويخضعون له دون أدنى ريب أو مناقشة أو جدل. وقد جرى الأمر على هذا المنوال في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وكان يحدث أن يزر الناس من الحاكم أو يشكو الحاكم رعيته، فكانوا في كل ذلك يطرقون باب القرآن ويرجعون إلى حكم الله ﷻ وإلى قانون الشريعة ليحكم فيما هم فيه يختلفون.

فمثلاً: لم يكن عمر رضي الله عنه يرتاح لمواقف خالد، فطلب من أبي بكر أن يعزله، لكن كان لأبي بكر موقف آخر ورأى غير رأي عمر فلم يسمع كلامه. ويوم أن تولى عمر الخلافة عزل خالدًا عن الإمارة وقبل خالد حكم الخليفة بصدر واسع وقلب مفتوح، فقد كان رضي الله عنه ممن وهب نفسه لله، وشعر بمعنى العبودية لديه رضي الله عنه، فلم يكن يختلف عنده أن يعبد ربه في ثوب القيادة أو في لباس جندي عادي.

ويوم أن تولى عثمان رضي الله عنه الخلافة وأجرى أحكامه، كان لعلي رضي الله عنه بعض المآخذ على طريقته في الحكم، لكن عثمان رضي الله عنه، لم يوافقته الرأي، ولم يحدث أن رفع علي عصا العصيان أو قاد انقلاباً على عثمان، أو مكر به، بل على عكس ذلك كله، فقد كان ينصحه إذا استنصحه ويشير إليه كلما استشاره، وأرسل أولاده يجرسون الخليفة في أيام الفتنة ويفدونهم بأنفسهم، مع أنه لم يكن معجبا بسياسته وطريقة إدارته لشؤون الدولة.

إن العصابة المجرمة التي قدمت من مصر وغيرها أحدثت أول فتنة في الإسلام - ولم يكونوا من الصحابة - جاءوا وقتلوا الخليفة الراشد الثالث عثمان رضي الله عنه، وكان بإمكان الخليفة أن يأمر من عنده من العساكر والصحابة أن يخرجوا في قتال هؤلاء المجرمين إلا أنه اجتهد ومنع الناس عن حمل السيف؛ لئلا تراق دماء مسلمة بسببه في مدينة الرسول ﷺ، وهذا كان اجتهاداً منه، وافقناه عليه أم لم نوافق، صح أو لم يصح.

لكن بعد استشهاده لم ير الصحابة بأساً في حمل السلاح فكل من استطاع منهم توجه إلى جانب من بلاد الإسلام وبدأ يجمع المجاهدين ويكوّن جيشاً ليثار للخليفة المظلوم ويؤدب تلك العصابات المجرمة.

أما في المدينة فأصبحت الدولة من غير خليفة، وكانت المدينة تحكمها سيوف أهل الفتنة الذين أجبروا علياً على قبول الخلافة وبايعوه وبايعه كذلك الصحابة، وقرر علي أن يصلح الأمور واحداً تلو الآخر، حسب قاعدة الأولويات التي كان يراها، لتعود المياه إلى مجاريها.

وبما أن معاوية رفض بيعه علي ما لم يثار لدم عثمان. ودليل آخر كان أهم عنده، وعلى أساسه رأى علي أن يؤخر قصاص قتلة عثمان، وهذا الدليل الأهم هو؛ أن علياً لم يكن يملك قدرة كافية يستطيع أن يواجه بها هؤلاء العصاة المجرمة، أما المجاهدون الصادقون من أبطال الصحابة وغيرهم فقد توزعوا في الأمصار ودخل الحابل بالنابل، ولم تكن معالم الأمور واضحة فكان علي بحاجة إلى مزيد من الوقت ليعيد الأمور إلى ما كانت.

وكانت هذه نقطة انطلاق الخلافات بين الصحابة، فمن هنا فإن أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير كانوا يصرون على معاقبة قتلة عثمان رضي الله عنه بأسرع وقت، وكانوا قد جمعوا جيشاً من المسلمين يريدون قتل كل من شارك في فتنة اغتيال الخليفة الراشد عثمان، ولم يكونوا يريدون قتال علي رضي الله عنه ألبتة، ولما اجتمع الجيشان جلس قادة الجيشين للتفاوض ومدارسة الموقف وبحث طرق إيجابية لحل الفتنة، ف شعر أهل الفتنة أن أجلهم قد حان، وقرروا أن ينضموا إلى الجيشين، فمكروا وبدأوا القتال ليلاً، فخرج الأمر من أيدي الصحابة... هدأت نيران المعركة مع انتصار جيش علي رضي الله عنه، وكان قد استشهد طلحة كما استشهد الزبير، وأسرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، بعد أن امتلأت ساحة المعركة بجثث المسلمين من الفريقين..

من مواقف علي رضي الله عنه وسيرته بعد الحرب، ندرك أن الخلاف بين الصحابة لم يكن إلا خلاف اجتهاد في فقه الواقع، وفي رؤية أولويات الأمور وطريقة إصلاحها، لا في الدين أو العقيدة.

وهذا هو علي رضي الله عنه يبشر عمرو بن جرموز، قاتل الزبير -الذي حمل إليه بشرى قتله للزبير وسيفه لعله يحصل على هدية من أمير المؤمنين- بنار جهنم، ويقول له: سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةِ بِالنَّارِ». فيقال: إنه لما سمع ذلك قتل نفسه.

وها هو يواسي ابن طلحة ويقول له: أرجو من الله تعالى أن يجعلني وأباك فيمن قال فيهم:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَأَمِينٍ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلِيٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٥-٤٧].

وجمع أمير المؤمنين أجساد قتلى المعركة من الفريقين في مكان واحد وصلى عليهم صلاة الجنازة.

والشيعة يعتقدون أن من استغفر له أمير المؤمنين علي عليه السلام يغفر له ويدخل الجنة، وها هو يصلي على قتلى المخالفين..

أرادت العصابة المجرمة من أهل الفتنة أن يجمعوا أموال المسلمين الذين قتلوا في المعركة لتوزع بينهم، لكن أمير المؤمنين رفض ذلك ولم يعدها غنائم حرب وأمر بأن يُعاد الأموال إلى أصحابها، فقال من انضم فيما بعد إلى الخوارج من جيشه: أتحرّم أموالهم وقد أحللت دماءهم؟! لكن علياً كان يؤمن بأن هذه فتنة وقعت بين أهل القبلة.

هكذا تعامل علي عليه السلام مع الذين قضوا نحبتهم وماتوا ولم يكن بإمكانه أن يعمل لهم أكثر من هذا.

أما مع الأحياء من الأسرى، وعلى رأسهم أم المؤمنين عائشة؛ فلم يعاملهم معاملة أسرى حرب الله ورسوله، ولا سجنهم أو طاردهم أو عاقبهم.

اقترب إلى أم المؤمنين عائشة عليها السلام وسلم عليها، فسمع جوابها.. ثم استغفر لها، واستغفرت عائشة له.

ولما أرادت الخروج من البصرة، بعث إليها علي بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وسيرَ معها أخاها محمد بن أبي بكر، يرافقونها إلى مكة المكرمة. ولم يحدث أن استغل علي عليه السلام المنبر لشتيم عائشة أو الطعن فيها... فلم يقل أمير المؤمنين علي عليه السلام أن طلحة أو الزبير ليسا من أهل الجنة - وقد بشرهما الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة.

حزن علي عليه السلام على ما حدث أشد الحزن وتأسف كثيراً، وكذلك عائشة حزنت طويلاً على ما حدث.

وإذا كنا صادقين فلنكن كأمر المؤمنين علي عليه السلام؛ إن كان قد شتم عائشة فلنشتمها، وإن كان قد احترمها واستغفر لها فلنفعل مثل ما فعل.

لماذا أصبح البعض يرون أنفسهم أئمة من أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأصبحوا كالخوارج الذين طالبوا مال المخالفين وعدوها من الغنائم التي تحل لهم!؟

وها هم أولاء يرون أعراض المسلمين قد حلت لهم، فلا هم لهم إلا شتم عائشة وغيرها من المسلمين الذين استغفر لهم أمير المؤمنين علي عليه السلام.

لا شك بأنه فيما دارت من المعارك بين الصحابة كان علي عليه السلام أحق من غيره، وذلك لأنه كان من كبار الصحابة ومن العشرة المبشرين بالجنة وقد بايعه كبار الصحابة بالخلافة، ولم يكن عنده ضعف يعزله عن الخلافة.

لكن كان لمعارضيه أدلتهم الشرعية كذلك، فهم كانوا يعترضون على وجود العصاة المجرمة في جيش علي عليه السلام، وكانوا يطالبون أن يحاكمهم أمير المؤمنين عليه السلام، وكان كلامهم فيما يطالبون به صواباً لا يعتريه شيء، وذلك لأنه:

كان في جيش علي عليه السلام مجموعة تتحلّى بصفات المنافقين، وكانت تثير الفتن والقتال بين المسلمين، وهم الذين أشعلوا نيران الفتنة والمعرفة في تلك الليلة التي اجتمع فيها علي وطلحة والزبير -رضي الله عنهم أجمعين-، وانفقوا على خطة مأكرة، فهجموا من هنا على جيش طلحة والزبير وعائشة ومن هناك على جيش أمير المؤمنين علي عليه السلام، فظن كل منهما أن الآخر قد غدر به، فثارت المعركة الدامية التي استشهد فيها طلحة والزبير عليه السلام.

وفيما بعد في صفين لعبوا نفس الدور الرخيص، فلما وجدوا أن المعركة بدأت تحسم لعلي عليه السلام تركوه ووقفوا يساندون جيش معاوية، وحاصروا علياً وأجبروه على الصلح لئلا تعود بلاد الإسلام تحت راية واحدة بعد أن مزقت وحدتها، ولئلا ينشغل المسلمون بالفتوحات الخارجية وتوسيع رقعة الإسلام.

ثم بعد صفين لما وجدوا أمير المؤمنين علياً قد عزم أن يعيد وحدة بلاد الإسلام بالتفاوض أو الحرب، خرجوا على علي ورفعوا راية الخلاف معه وكفروه وبدأوا يقتلون أصحابه المخلصين..

وفي نهاية الأمر، اضطر علي عليه السلام أن يهجم عليهم - على أصحابه السابقين - في نهروان يطالبهم بدم أحد الصحابة الذي قتله هؤلاء الخوارج ظلمًا وزورًا، فأحدث فيهم مقتلة رهيبة قتل فيها منهم ما يزيد على أربعة آلاف خارجي، وفر الآخرون، ومنهم كان ذلك الشيعي الذي تأمر مع أصحابه واستطاع أن يقتل أمير المؤمنين عليًا عليه السلام فيما بعد؛ ثأرًا لأصحابه.

فقد فعل أمير المؤمنين علي عليه السلام قبيل شهادته ما كان يطالبه به طلحة والزبير وعائشة وغيرهم من الصحابة حيث قتل أربعة آلاف من العصابة المجرمة التي كانت ترافقه في معاركه السابقة وتقف بجواره.

لا شك لو أن عليًا عليه السلام لو وجد فرصة لكان يقوم بأعمال إصلاحية يرضي بها الجميع، ليعيد المياه إلى مجاريها، ولتجتمع كلمة الأمة، لكن البشر ليسوا معصومين، وإن كانوا صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كان لهؤلاء الصحابة - المخالفين - رأيهم ووجهة نظرهم، وكان لأمر المؤمنين علي عليه السلام خطته ورأيه، لكن الأجل لم يسمح له، فحدث ما حدث...

وهذا كله ليس ذريعة أن تكفر المخالفين وذلك لعدة أمور:

أولاً: إنهم لم يكونوا على خلاف مع أمير المؤمنين علي عليه السلام.

ثانياً: إن عليًا لم يكفرهم وكان يراهم إخوانه قد اختلفوا معه..

وهذه كلها لا علاقة لها لا بعمر ولا بأبي بكر ولا بعثمان الذين ماتوا قبل هذه الحوادث بزمن طويل، ولا شأن لها كذلك بقضية الخلافة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

المهم أن ما حدث بين الصحابة من المعارك لا صلة له من قريب ولا من بعيد بما وضع الشيعة عليه أساس مذهبهم؛ ولا يصح أن تستغل هذه الحوادث التاريخية لأهداف سيئة طعنًا في صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ثم طعنًا في الإسلام ومصادره...

(١١)

من هم عشاق أهل بيت الرسول ﷺ؟!؟

ألّف علماء الشيعة كتبًا كثيرة في أهل البيت، فهم يفتخرون بحب آل علي ﷺ، ويرون حب علي وأهل بيته أكبر شيء يجب أن يعتزوا به.

وتعالوا للنظر مدى صدقهم فيما يدعونه من حب أهل البيت؟!؟

يجب أن نعرف أولاً من هم أهل البيت؟

يرى علماء الشيعة بأن أهل البيت في الدرجة الأولى هم: علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ.

ثم يليهم أبناؤهم ولا سيما أولاد الحسين!

لكن، ألا ترى أن هذا التقسيم يتسم بالإجحاف والتعصب والحصص، فدائرة أهل البيت

أوسع من هذا، فيدخل فيها:

١- أزواج الرسول ﷺ..

فأهل البيت، أي؛ أهل الدار، ومن يعيش معك في بيتك ويقاسمك الحياة، ومن يزعم حب

الرسول ﷺ ينبغي عليه أن ينظر في بيت الرسول ﷺ وفيمن يساكنه ويشاطره الحياة.

ومن كان يعيش في بيت الرسول ﷺ؟

فقد كان مع الرسول ﷺ في بيته زوجاته وبناته، وقد تزوجت البنات وانتقلن مع أزواجهن

إلى بيوتهم، فلم تبق مع الرسول ﷺ إلا زوجاته، هذا هو قانون الحياة عامة.. ولا تبقى مع

الرجل في بيته إلا زوجته - أو زوجاته - فالبنت أو الأخت أو الأم كل واحدة تعيش في بيتها مع

زوجها وأولادها، ولا تخرج زوجة الرجل من بيته إلا إذا مات الرجل وتزوجت المرأة من بعده

من رجل آخر، فتنقل إلى البيت الجديد، وهذا ما لم يكن مع أزواج الرسول ﷺ، فقد أصبحت

زوجاته أمهات للمؤمنين وحرم نكاحهن.

فبقيت زوجات الرسول ﷺ في بيوتهن حتى بعد وفاة الرسول ﷺ، فلم تتزوج أحد منهن بعد الرسول ﷺ، ولا انتقلت إلى بيت آخر، وظلن في بيوت الرسول ﷺ حتى أدركهن الموت.

هذه هي الحقيقة الثابتة التي لا يمكن إنكارها.

لكن إذا أصر أحد من الناس أن يجعل رأسه في الرمال كالنعامة لئلا يرى الحق، فله ذلك، ولا يغير فعله هذا من الواقع شيئاً.

والله ﷻ في معظم المواضع من القرآن الكريم التي ذكر فيها أهل البيت، قصد في الغالب الأزواج..

فمثلاً: إذا قرأت قصة لوط عليه السلام، ستجد الأمر واضحاً، وكذلك في قصة إبراهيم ونوح عليه السلام وأي قصة أخرى، فإذا ذكر آل لوط أو آل إبراهيم شملت الكلمة زوجاتهم لا محالة.

اقرأ معي قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا عَالُ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الحجر: ٥٨-٦٠].

فإذا لم تكن الزوجة من أهل البيت لما دعت الحاجة إلى شرح الحكاية وتفسيرها واستثناء امرأته من عموم آل لوط. ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَجْبَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ [الأعراف: ٨٢-٨٣].

وكذلك في قصة إبراهيم عليه السلام، لما جاءته الملائكة؛ نرى بأن كلمة أهل البيت شملت زوجته كذلك.

فعندما جاءت الملائكة إلى إبراهيم في بيته، لم يكن في بيت إبراهيم عليه السلام إلا هو وزوجته سارة، فحكّت الملائكة لإبراهيم قصتهم، وما أمروا به ثم بشروا إبراهيم بغلام. سمعت زوجة إبراهيم عليه السلام هذا الكلام وتعجبت منه، فقالت الملائكة: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ وَعَلَيْكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: ٧٣]

ففي هذه الآية تعني كلمة أهل البيت؛ الرجل وزوجته، فلم يكن في بيت إبراهيم إلا هو وزوجته سارة، والآية لم تخاطب إلا زوجة إبراهيم؛ سارة التي تعجبت من أمر الله كيف يرزقها

بغلام بعد هذا العمر: ﴿قَالَتْ يَوَيْلَ لِيَ آئِلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢]!

فقالت الملائكة لها: ﴿أَتَعْجَبِينَ﴾ [هود: ٧٣] خطاب إلى المرأة، ولو كانت الآية تعني إبراهيم لقلت: «أَتَعْجَبُ؟»، فصيغة «تَعْجَبِينَ» تستعمل في العربية لخطاب المؤنث لا المذكر. مع هذه التفاصيل؛ لماذا يصر الشيعة على رفض زوجات الرسول ﷺ وطردهن من دائرة أهل البيت؟!

ألا يصدقون القرآن ولا يقبلونه؟

إن كانوا يقبلون القرآن الكريم، فلماذا يعتقدون هذه العقيدة العجيبة الغريبة المتعارضة مع القرآن تجاه أهل بيت رسول الله ﷺ؟! لا بد أنكم قرأتم هذه الآية الكريمة:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

يقول علماء الشيعة بأن هذه الآية نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، في حين أن الآية تعني زوجات النبي ﷺ، ولا شك أن بناته وأصهاره من أهل بيته ﷺ، ولا ننسى كذلك بأن الرسول ﷺ كان له أربع بنات، لا واحدة، وقد تزوج عثمان من بنتين من بنات الرسول ﷺ - واحدة بعد الأخرى - ولهذا يلقب بذي النورين، ونحن نؤمن بهذا كله...

لكن هذه الآية تعني زوجات الرسول ﷺ، فالآية وردت في سياق تبشّر أهل بيت الرسول ﷺ بالتطهير، والخطاب موجه إلى زوجات الرسول ﷺ، لا إلى بناته أو أصهاره!

اقرأ معي قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعُكُنَّ وَأُسَرِّحُكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٣٨﴾ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٩﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٤٠﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَفْعَلْهُنَّ﴾

مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾
يُنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي
قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى
وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [الأحزاب: ٢٨-٣٤].

فكما هو واضح أمام أعيننا؛ يأمر الله ﷺ رسوله ﷺ في بداية هذه الآيات الكريبات أن يخير
أزواجه بين البقاء والطلاق، فقال: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌ لِّأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾. ونعرف جميعاً أن أي واحدة من
أزواج النبي ﷺ لم تطلب الطلاق ولم ترض به، أي؛ لم ترد واحدة منهن الحياة الدنيا وزينتها، بل
طلبن ما عبَّر عنه القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ﴾
[الأحزاب: ٢٩]، أي؛ رضىن بالله ورسوله ونعيم الآخرة، وكما ترى فإن الآيات تتكلم قبل آية
«تطهير أهل البيت» وبعدها عن زوجات الرسول ﷺ، ولا أدري كيف يسمح علماء الشيعة
لأنفسهم أن يقطعوا الآية من سياقها، ويخرجوها من وسط الآيات التي تخاطب زوجات
الرسول ﷺ وينسبونها إلى فاطمة والحسن والحسين؟!!

فهذا دليل واضح وجلي لكل من أوتي بصيرة وفهماً سليماً أن الله ﷻ طهَّر زوجات
الرسول ﷺ، لأنه إذا أراد شيئاً فعله، وقد أراد أن يطهرهن تطهيراً^(١).

ومن المؤسف أن نرى من يزعم حب أهل البيت؛ يشتم أهل بيت الرسول ﷺ.
فزوجات الرسول لم يلقبن بأهل البيت فحسب، وإنما شرفهن الله ﷻ ولقبنهن من فوق سبع
سماوات «بأمهات المؤمنين». ومن جهة أخرى، هن من كبار صحابيات الرسول ﷺ. فكيف
يتجرأ إنسان أن يرمي أمهات المؤمنين بالنفاق؟ وهل من الممكن أن تكون أمهات المؤمنين

١ - للمزيد، انظر كتاب آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة للدكتور طه الدليمي، وكتاب تأمل في آية

تصور إنساناً يزعم حبك ويدعي صداقتك، ثم يخرج على الملاء ويشتم زوجتك ويرميها بأخس الصفات ويظعن في عرضها. فهل تصدق صداقته وحبه لك أم أنه عدوك؟

هذا هو عين ما يصنعه بعض الناس مع الرسول ﷺ، يفعلون هذا وقد سمعوا الله ﷻ يخبر بطهارة أزواج الرسول ﷺ!!

• حديث الإفك والافتراء على عائشة رضي الله عنها ..

كان الرسول ﷺ يأخذ معه إحدى زوجاته في كل سفر يخرج فيه، وكان يقترع بينهما. وفي إحدى هذه الأسفار وقعت القرعة على عائشة فخرجت ترافق الرسول ﷺ، وفي إحدى الأماكن التي نزلت القافلة للراحة خرجت عائشة من هودجها وابتعدت عن القافلة لقضاء الحاجة، وفي هذه الأثناء تحركت القافلة، وحمل الناس هودج أم المؤمنين على ناقتها دون أن يشعروا أنها ليست في الهودج.

فرجعت عائشة إلى مكان القافلة فوجدتها قد غادرت المكان، فعرفت أنهم سوف يشعرون بغيابها ويرسلون وراءها، فجلست في مكانها.

كانت من عادة القوافل أنها تختار رجلاً يتحرك خلف القافلة ويترقب إن كان قد سقط من القافلة شيء أو نسوا شيئاً ليوصله إلى صاحبه. وفي هذا السفر، كُلف سيدنا صفوان بهذه المسؤولية. فلما رجع إلى مكان القافلة تفاجأ بعائشة هناك، فقال مستغرباً: **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**، **ظَعِينَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ!** ولم ينطق بشيء أكثر من هذا، وأناخ ناقته لتركب عائشة عليها، ثم أخذ زمام الناقة وبدأ يمشي أمامها نحو القافلة، إلى أن أوصلها إلى هودجها.

وقد كان هذا الحدث البسيط بمثابة شرارة جيدة للمنافقين ليتخذوها ذريعة في الطعن في عرض الرسول ﷺ، فقالوا: أجل، رجل شاب وامرأة شابة!!

ونطقوا بكلام قبيح يعجز قللمي عن تكراره على الورق وكتابته، وانتشرت الإشاعة كالنار في المهشيم على السنة المنافقين، إلى أن نزلت تلك الآيات من سورة النور التي برأت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما افتروه عليها:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].

وفي سورة الأحزاب في نفس الموضوع نجد قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

لم نذكر هذه الآيات الكريهات لثبوت براءة أم المؤمنين من حديث الإفك؛ فالحمد لله من
حسن الحظ أن أحداً من المسلمين لا يخالفنا في براءتها، ولا يطعن في أم المؤمنين بما طعنها
المنافقون لنستشهد بالآيات، لكننا ذكرنا الآية لنستشهد على أمر آخر وهو:

أن نقول أولاً: إن الشيعة كذلك يؤمنون بأن الآيات السابقة نزلت في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.
وبما أنهم يوافقوننا في هذا الأمر، فلنسمع المولى عليه السلام ماذا يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

بعد ما عرفنا سبب نزول الآية فإن كلمة المؤمنين هنا تعني؛ سيدنا صفوان بن معطل رضي الله عنه،
والمؤمنات تعني؛ عائشة رضي الله عنها. أي؛ أن الله تعالى عدهما في زمرة المؤمنين والمؤمنات، فهل نستطيع
نحن بعد هذه الشهادة الإلهية وهذا الحكم السماوي الصارم أن نرميها بالكفر أو النفاق؟!!

وماذا نصنع بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور: ٢٣].

ونعرف يقيناً أن الآية تعني من: ﴿الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النور: ٢٣]؛
أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالدرجة الأولى.

فكيف يتجرأ الواحد منا بعد أن وصف الله تعالى أم المؤمنين بهذه الصفات الجليلة - تلك
الصفات التي لو نزلت واحدة منها في حق امرأة غيرها لأقامت الدنيا ولم تقعدا فخراً واعتزازاً
بنفسها، وحق لها التفاخر والاعتزاز - أن يرميها بتلك الصفات القبيحة والشتائم التي يتفوه بها
بعض القوم؟ كيف له أن يرميها بالنفاق أو يطعن في نواياها؟!!

فيا ترى؛ بأي وجه سوف يقابل الله تعالى من يفعل مثل هذا؟!!

وقد حكى لنا القرآن الكريم هذه الواقعة ثم اختتمها بآية، لو تمنع الناس فيها، لما تجرأ أحد منهم أن يتناول على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، إلا إذا كان منافقاً حاقداً على الإسلام والمسلمين يبطن نفاقه ويتظاهر بالإسلام، أو رجلاً لا يؤمن بالقرآن الكريم.

تقول الآية: ﴿الْحَيِّثُكَ لِلْحَيِّثِينَ وَالْحَيِّثُونَ لِلْحَيِّثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

ما معنى هذه الآية؟

أي؛ لو أن عائشة كانت خبيثة لكان ولا بد أن تكون لرجل خبيث، وإن كانت طيبة كانت لرجل طيب، والآية نزلت في عائشة وتتحدث عن براءتها من حادثة الإفك.

فيا أيها العقلاء!

من نصيب من كانت عائشة رضي الله عنها؟

فهي منذ أن بلغت كانت زوجة للرسول صلى الله عليه وسلم، وانتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ورأسه المبارك بين سحر حجر عائشة ونحرها، ولم تتزوج عائشة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم من رجل آخر قط ولم يكن لها ذلك، وقضت كل حياتها في تلك الحجرة التي عاشت فيها مع الرسول صلى الله عليه وسلم معززة مكرمة عشر سنوات من حياتها، وقد قال عنها المصطفى صلى الله عليه وسلم: «عائشة زوجي في الجنة»^(١).

وهذا واضح أظهر من الشمس أنها كانت أحب زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أم المؤمنين خديجة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحبها أكثر من سائر زوجاته.

يوم أن انتشر حديث الإفك على السنة المنافقين قال عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله! أتذكر يوم أن كان على لباسك نجاسة، فجاء جبريل يخبرك بها، فلم يكن الله تعالى يرضى أن يرى

١- أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨ / ٦٦)، قال الألباني: وهذا إسناد رجاله ثقات رجال مسلم غير أنه مرسل لأن مسلماً وهو ابن عمران البطين من صغار التابعين ولكن من المراسيل الصحيحة لأن له شواهد كثيرة تدل على ذلك»، منها قوله صلى الله عليه وسلم لها: «أَنْتِ زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (١١ / ٤)، وصححه ووافقه الذهبي والألباني. وانظر كذلك السلسلة الصحيحة للألباني برقم

النجاسة في ثيابك، فهل يرضى أن يرى زوجته وشريكة حياتك نجسة ولا يجبرك؟!

ثم قال عمر: سبحانك هذا بهتان عظيم!

فنزلت الآيات من عند الله تؤيد ما قاله عمر رضي الله عنه، وتكرر نفس الكلمات، أجل! نفس

الكلمات: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

أين عمر اليوم ليرى بعض المسلمين يتناولون على أم المؤمنين ويرمونها بأكبر من الزنا؟!

أجل! يرمون أم المؤمنين بالكفر والنفاق والردة!!

يا سبحان الله! أين عمر ليصرخ بأعلى صوته: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾

[النور: ١٦].

إذا لم يكن عمر بين أظهرنا، فلسنا أقل من أن نجتمع نحن المسلمين كلنا للدفاع عن عرض

الرسول ﷺ ودينه ونصره بأعلى صوتنا: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

يقول بعض علماء الشيعة ممن نذروا علمهم وجهدهم ودعوتهم لإضلال الناس والتلبس

عليهم، لا لدعوتهم وإرشادهم نحو الحق، يضربون مثلاً عجيباً فيقولون:

«ليس هذا أمراً جديداً في سيرة الأنبياء، فقد كانت زوجة سيدنا لوط عليه السلام وزوجة سيدنا

نوح عليه السلام كذلك»!

وقد توصلوا إلى استدلالهم هذا على طريقتهم الخاصة في القياس مع الفارق، ونقول في

جوابهم: هذا ليس دليلاً يعتد به! ما علاقة فساد زوجة لوط وزوجة نوح بأم المؤمنين زوجة

الرسول ﷺ؟ ولعل جاهل معاند مثلكم يقوم ويطبق منهجكم في القياس على سيدنا علي رضي الله عنه

ويرمي زوجته بذلك؟!

فقد قلنا بأن الله ﻻ يرضى أن يرى الفساد في عرض نبيه ومصطفاه، وقد رأينا ذلك يوم أن

أغرق زوجة نوح عليه السلام، وأمطر على زوجة لوط عليه السلام، مطراً من النار!

وينبغي أن نرى ما صنعه الله بزوجة رسوله ومصطفاه محمد ﷺ؟

فقد قضى رسول الله ﷺ آخر أنفاسه من هذه الحياة في غرفة عائشة وبجوارها، ولم يذكر

الله ﷻ عنها إلا الخير والطهر والعفاف.

فأين وجه التشابه بين أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي برأها الله وزكاها من فوق سبع سماوات، ثم أكرمها في جوار رسوله ومصطفاه، وبين زوجتي نوح ولوط اللتين فضحها الله ﷻ في الدنيا قبل الآخرة؟!

وحتى بعد ما حدث بين علي وعائشة رضي الله عنهما من الخلاف وانتصر علي رضي الله عنه على جيش مكة، لم ينزل علي عليها مطراً من النار ولا أغرقها بطوفان، وإنما أكرمها وأرجعها إلى بيت حبيبها الرسول ﷺ معززة مكرمة.

إذن، هذه قاعدة كلية لا استثناء فيها، فإن الخبيث والطيب لا يجتمعان ولا سيما في بيت النبوة؛ كما رأينا ذلك بين سيدنا لوط وزوجته، وبين سيدنا نوح وزوجته، وحتى بين آسية الطاهرة المؤمنة وزوجها فرعون الطاغوي، إذ يفرق الله ﷻ بين الطاهرين الطيبين والخبيثات. وإذا بقيا بجوار البعض إلى آخر أيامها لا يخرج الأمر من أن يكونا طيبين أو خبيثين!!

فماذا يرى السادة علماء الشيعة؟!

٢- بنات الرسول ﷺ ..

يقول القرآن الكريم: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًّا لِّرَّوْحِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ [الأحزاب: ٥٩].

فهذه الآية تقول بأن الرسول ﷺ كان عنده عدد من البنات، وليست واحدة فحسب..

عجيب!!

ويا ترى؛ من هن بنات الرسول ﷺ؟

فقد كانت واحدة منهن زوجة لعثمان رضي الله عنه، والأخرى زوجة لأبي العاص بن الربيع رضي الله عنه، والثالثة زوجة لعلي رضي الله عنه، ولم تكن الرابعة منهن متزوجة آنذاك، ولما توفيت زوجة عثمان الأولى زوجة النبي ﷺ من بنته الأخيرة هذه، ومن هنا لُقّب عثمان بذي النورين.

طيب! كيف يمكن للرسول ﷺ وهو يعرف نفاق عثمان وسوء سريرته أن يزوجه ابنته؟ وكيف يمكن أن يزوجه مرة أخرى من ابنته الثانية بعد وفاة الأولى؟

إذا قالوا بأن الرسول ﷺ لم يكن يعرف نفاق عثمان ونواياه الخبيثة! نقول: كيف لا يعرف الرسول ﷺ نفاق عثمان والوحي ينزل عليه صباح مساء، وقد أخبره الله ﷻ بأسماء المنافقين كلهم؟

ثم كيف يمكن أن يجهل الرسول ﷺ الذي أوتي الفراسة والحكمة، نفاق عثمان بعد هذه الحياة الطويلة والمعاشرة والتقارب؟ وإذا قالوا بأن الرسول ﷺ كان يعرف نفاقه وسوء سريرته ومكره، فلماذا زوجه ابنته الثانية إذن؟!

لم يجب علماء الشيعة لا على السؤال الأول، ولا على السؤال الثاني، وإنما سلكوا طريقاً ثالثاً؛ وهو السكوت. أجل سكتوا ولم ينطقوا بشيء.

اسألوا الشيعة الذين يزعمون حب أهل البيت ويتفاخرون به، كم منهم يعرف أسماء أخوات فاطمة الزهراء عليها السلام؟!

أنت يا أخي الشيعي، الذي تقرأ هذه السطور؛ هل تعرف أسماء أخوات فاطمة بنت الرسول ﷺ؟ أكثركم يجهل أسماء أخوات فاطمة الزهراء عليها السلام، دعك من سيرتهن أو سيرة أولادهن وأزواجهن؟!

هل تعدون إخفاء الحقيقة حلاً ناجحاً؟ وإلى متى؟..

إذا كانت فاطمة من أهل البيت، فكذلك أخواته اللاتي كن زوجات عثمان يُعدن من أهل البيت، وإذا كانت ميرة علي عليه السلام أنه تزوج من بنت الرسول ﷺ فلعثان ميزتان إذ تزوج بنتين من بنات الرسول ﷺ!

أجل، لا ننسى أن نذكر أن هناك أحاديث تقول بفضل فاطمة على سائر أخواتها.

وكذلك عن بنات سيدنا علي عليه السلام، فتسمعون كثيراً اسم زينب أخت الإمام الحسين، لكنكم قلما تسمعون اسم أختها أم كلثوم، أي؛ أخت الإمام الحسين الثانية، فلماذا؟ هل لأنها كانت زوجة لسيدنا عمر عليه السلام؟ أليست أم كلثوم من أهل البيت؟

وقد قال الله تعالى: ﴿الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦]، إذا كانت بنات الرسول ﷺ وبنات علي عليه السلام من الطيبات، فقد كان أزواجهن أي؛ عمر وعثمان - في ضوء هذه الآية الكريمة - من الطيبين كذلك، وإذا كنتم تقولون بأن بنات الرسول ﷺ وبنات علي عليه السلام ممن تزوجهن عمر وعثمان لم يكن من الطيبات، فلا تزعموا محبة أهل بيت الرسول ﷺ وأهل بيت علي عليه السلام! وذلك لأنكم لا ترون أزواج الرسول ﷺ من الطيبات ولا بناته...

(١٢)

في ظلال سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

لقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول المتهمين في المؤامرة الرخيصة أو الدسيسة المزعومة التي دبرت في اغتصاب حق علي رضي الله عنه، أو الانقلاب الأسود على خلافته. من هنا كان ولا بد أن نلقي الضوء على شخصيته، وننظر إلى سوابقه وإلى تفاصيل سيرته؛ لعلنا نجد ثغرة تكشف لنا عن سوء نواياه، ولعلنا نصل إلى أمور توضح لنا معدن الرجل إن كان صالحاً أو طالحاً..

شعورنا بما تحمّله الرسول ﷺ في بداية أمر الإسلام من المشاق في سبيل دعوته بين شعاب مكة الصلبة وشعبها المتعنت الجلف، يجعلنا نعتز به ﷺ، ونكنّ له حباً فوق حب، فقد تحمل ﷺ كل المصائب وصبر على كل الظروف القاسية عسى أن يهدي الله به الناس، فما آمن له في بداية أمره إلا زوجته خديجة رضي الله عنها ثم صديقه أبو بكر رضي الله عنه.

ويقول الشيعة بأن علياً هو الرجل الثاني، والثالث أو الرابع - ولعله الخامس - هو أبو بكر. نقبل منهم كل هذا، لأنه لا يغير من الواقع شيئاً، ولعلنا لسنا بحاجة أن نذكر بأن سيدنا علي رضي الله عنه كان صبيّاً لم يتجاوز ثمانية أعوام يعيش في بيت الرسول ﷺ، وتحت رعايته الكريمة، في حين أن أبا بكر كان صديقه الحميم، وقريباً من عمره ﷺ.

فقد آمن به أبو بكر رضي الله عنه، وصدق في إيمانه، وكان يقبل من الرسول ﷺ كل شيء بصدر رحب وقلب واسع.

ففي قصة الإسراء والمعراج قال الرسول ﷺ بأنه أسرى إلى بيت المقدس، ومن هناك عُرج به إلى السماوات العلى، وجاوز السماء السابعة، ووصل إلى سدرة المنتهى، ثم رجع في نفس الليلة إلى فراشه. استهزأ به كفار قريش. وطار أبو جهل بالخبر إلى أبي بكر وأخبره مستهزئاً بما يقوله الرسول ﷺ؛ عسى أن يوسوس في صدر أبي بكر ويجعله يشك في إيمانه. لكنه وجد أبا بكر

يتساءل بقلب الرجل المؤمن: أو قال ذلك حقاً؟

أطلق أبو جهل ضحكة عالية في الهواء يستهزئ بالرسول ﷺ وقال: نعم، محمد يزعم ذلك. فإذا به يتجمد كالصخرة الصماء وهو يسمع أبا بكر المؤمن الصادق يقول: إن كان قال ذلك فقد صدق.

هذا الموقف وغيره من المواقف الرشيدة جعلت أبا بكر يُلقب بالصديق.

ومما يكشف لنا عن مدى حب أبي بكر رضي الله عنه للرسول ﷺ، ومدى تفانيه وإخلاصه وإيمانه له أن قدم بنته وفلذة كبده التي لم تتجاوز تسع سنوات بعد إلى الرسول ﷺ الذي تجاوز الخمسين من عمره ليتزوجها.

أجل، قدم ابنته إلى الرسول ﷺ في تلك الأيام العصيبة التي كانت سهام الكفر من كل جهة تصوب نحو الرسول ﷺ، وكان المصطفى رضي الله عنه في غاية الضعف تهدده المصائب والأخطار من كل جانب، إلى درجة أنه بدأ يفكر في الهروب من بيته ومدينته وعشيرته.

شارك أبو بكر الصديق رضي الله عنه رسول الله ﷺ في كل المواقف العصيبة، وشاركه في كل الظروف المستعصية التي تصفي معادن الرجال وتكشف عن مكامن الصدور.

ويوم أن جاء الأمر بالهجرة، هاجر جميع المسلمين إلى المدينة، ولم يبق في مكة إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي رضي الله عنهما، وتم الاتفاق على أن يبيت سيدنا علي رضي الله عنه على فراش الرسول ﷺ ليفدي الرسول ﷺ بنفسه كأول فدائي يقوم بعملية استشهادية في الإسلام. ويكلف أبو بكر بصحبة الرسول ﷺ في الهجرة، ليشاركه آلام الطريق وأخطار الأعداء الذين يترصبون بالرسول ﷺ من كل حذب وصوب.

دعوني أخرج من سيرة أبي بكر رضي الله عنه قليلاً، لأوضح نقطة قد يستغله بعض من في قلبه مرض. فأننا لم أركز في هذا الكتاب على سيرة علي رضي الله عنه، وعلى مناقبه وفضائله ليس لأنني - لا سامح الله - أنكر بطولاته وشجاعته وإيمانه وإخلاصه وتقواه، بل أعترف وأقر بكل ذلك وأعتر به فهو صهر الرسول ﷺ، وأول فدائي في الإسلام، وفتح خير ومن المبشرين بالجنة ومن الخلفاء الراشدين، لكن ليس بيننا وبين الشيعة خلاف على مكانة علي رضي الله عنه، وعلى مناقبه فنحن

نتفق معهم في كل ما يقولونه في علي عليه السلام، غير ما يغالون ويحرفون من سيرته.

نعود لنقول: إن أبا بكر عليه السلام رافق الرسول صلى الله عليه وسلم وخرجا في رحلة الهجرة المشهورة، وخرج الكفار يتعاقبونهما ويترصدون بهما في كل مكان، فالتجأ الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه إلى غار ثور عسى أن تخف زحمة المطاردة فيستمروا في الهجرة، لكن الكفار استعانوا بخبراء الطريق ووصلوا إلى غار ثور. وكان أبو بكر عليه السلام قلق مما يجده في هذا الموقف الحرج فها هم الكفار يتقدمون إليهما خطوة خطوة، وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعان ما سينكشف أمره، وها هي الأخطار الجسيمة تكاد تنزل كالصاعقة على رسول الله وعلى دعوته، فكان قلب أبي بكر يتفتت ألماً وحرزاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وشعر الرسول صلى الله عليه وسلم بما يعانیه صاحبه، فهدأ من روعه وقال له: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما».. «لا تحزن، إن الله معنا».

وهذه الواقعة هي تلك التي سجلها القرآن الكريم: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠].

نعرف من جملة: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]؛ أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول لأبي بكر: يا أبا بكر، إن الله معي ومعك، ونعرف كذلك بأن الله مع الجميع؛ مع الكافر ومع المسلم، يراقب أعمالهم، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم يقصد هنا شيئاً آخر، فهو يعني بكلامه هذا: يا أبا بكر، لا تحزن ولا تفكر فإن الله معي ومعك يحافظ علينا وينجيننا من كيد الكافرين. أي؛ أن الله برحمته معنا.

ولو كان هنا علي عليه السلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف لكان كل صبي شيعي يلقتن هذه الآية ويحفظها، ولكانت كلمة ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] شعار المذهب وورد السنة القوم، أما لسوء حظهم أن الآية جاءت تصف موقفاً من مواقف أبي بكر الرشيديّة! إذن ينبغي أن يكون لها تفسير وتأويل آخر غير ما تقصده الآية!! فجاء علماء الشيعة ليضربوا أحساساً في أسداس ففكروا وقدروا إلى أن قالوا: أجل، كان أبو بكر ناقص الإيمان، فخاف!

وبمكر ودهاء فسروا كلمة «الحزن» بالخوف! وشتان بين المعنيين!

فقد حق لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، أن يحزن على هزيمة الإسلام وانتصار الكفر، وعلى شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم، وشهادته هو ولم يكملا المسيرة بعد، وما زال الدين لم يكتمل والرسالة لم تنتهي بعد، فإذا كان هذا الحزن عيباً ونقصاً يعاب عليه الصديق رضي الله عنه ينبغي أن نعيب على الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك إذ كان يعتريه شيء من الحزن أحياناً، أفلم تقرأوا قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ [الأنعام: ٣٣].

نقول لمن يفسر «الحزن» بالخوف:

أولاً: ألا تخاف الله وألا تتقيه في هذا التأويل وهذا التحريف؟

ثانياً: حتى الخوف في مثل هذه المواقف لا يعد ذنباً ولا نقيصة، أو لم تقرأوا قول ملائكة الرحمن لسيدنا لوط عليه السلام، فيما يرويه لنا الله صلى الله عليه وسلم:

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْعَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ [العنكبوت: ٣٣]

هذا هو الجواب الذي استنبطناه من القرآن الكريم، لعلهم عسى أن يصغوا إليه.

وكان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه مواقف عظيمة وخدمات جليلة في المدينة كذلك، أكثر من أن تعد وتحصى، فقد رافق الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع معاركه وغزواته.

لقد آمن ثم هاجر، ثمجاهد، فهو من أبرز من يشملهم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ [التوبة: ٢٠-٢٢].

وقد كان أبوبكر الصديق رضي الله عنه ممن لا يبخلون في سبيل الله تعالى بما وهبهم الله من المال، فكان رمزاً وقدوة في الإنفاق في سبيل الله صلى الله عليه وسلم؛ وكان ممن ينفق عليهم ويلطف بهم أحد أقاربه الفقراء، ومن سوء حظه أنه سقط في المؤامرة التي قادها المنافقون في حديث الإفك، فأشاع بعض كلامهم عن عائشة رضي الله عنها، فحلف أبوبكر الصديق رضي الله عنه ألا ينفق عليه مرة أخرى، لكن

الله ﷺ صحح هذا الموقف منه فأنزل على رسوله آيات بينات تُتلى إلى يوم القيامة، فقال تعالى:

﴿وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾
[النور: ٢٢].

لما سمع أبو بكر الآية تقول له: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] قال بحزم الرجل المؤمن الصادق: بلى، أحب أن يغفر الله لي. ثم بدأ ينفق على ذلك الرجل ابتغاء رحمة الله وغفرانه ورضوانه.

وقد كان آية في البطولة والفداء، شهدت له ساحات المعارك ما لا يستطيع إنكاره الأعداء. وكان له ولد مشرك يقاتل في صف الكفار، قال له بعد ما من الله عليه بالإسلام: يا أبت، في إحدى المعارك وصلت خلفك، وكنت قادرًا على قتلك، لكن أخذتني رافة النبوة فلم أهجم عليك.

فقال له أبو بكر: والله الذي لا إله إلا هو، لو وجدتك في مثل هذا الموقف لقطعت عنقك. هذا هو المؤمن الذي تعجز الجبال الراسيات عن حمل إيمانه. ذلك الرجل الذي باع نفسه وماله لله، يشتري بها رضوانه ومغفرته.

ولما اشتد مرض رسول الله ﷺ وحانت لحظاته الأخيرة أمر أبا بكر أن يصلي بالناس إمامًا. وبعد رحيل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى تولى قيادة سفينة الإسلام في تلك الأمواج الهالكة وتلك الظروف الصعبة.

لم تستمر خلافته إلا زمنًا يسيرًا لكنه استطاع أن يسجل على صفحات التاريخ أسطرًا يعتز بها الإسلام والمسلمون، ويفتخر بها التاريخ الإسلامي؛ فقد استطاع بعون من الله ﷺ أن يعيد للإسلام شوكته وسلطانه بعد أن كاد أن يذهب أدراج الرياح. قضى على فتنة المرتدين وقطع رؤوس أبالسة البشر الذين ادعوا النبوة من بعد خاتم الأنبياء ﷺ، ثم جهز الجيوش المؤمنة وضرب بهم حصون بلاد الفرس والروم، فأذاق إمبراطوريات العصر طعم الهزيمة.

وشعر بالخطر على القرآن الكريم يوم أن استشهد عدد كبير من قراء كتاب الله في المعارك

الدامية التي دارت بينه وبين المرتدين، فأمر بجمع القرآن الكريم، وهذه منقبة له جد عظيمة لا بد أن يسجل له بمداد من ذهب.

رحم الله أبابكر الصديق، وغفر له، ورضي عنه، وأدخله الجنان والفردوس الأعلى، وجمعنا به في ركب الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، إخواناً على سرر متقابلين.. آمين!

(١٣)

لا يكتمل إيمان المرء ما لم يؤمن بالصحابة!!

لعل هذا العنوان يبدو غريباً لك، لكنه حقيقة لا مرأى فيه، وذلك؛ لو أننا حذفنا الصحابة من الإسلام فإن أصل الدين سيقع في بحر متلاطم من الشك والريب؟! يجب أن يعرف الجميع أن أصل الدين قائم على عمودين اثنين هما: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

والقرآن جمعه الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-؛ فإن شككنا في صدق الصحابة وإيمانهم كيف لنا أن نؤمن بصحة نص القرآن الكريم؟!

وقد نقلت السنة إلينا عن طريق الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-؛ فلو شككنا في صدق الصحابة وقلنا إنهم كانوا يتبعون أهواءهم ولا يخافون من الله ﷻ ولا يتقونه، فكيف لنا أن نصدقهم فيما نقلوه من كلام نبينا ﷺ؟

أدرك الشيعة هذه المعضلة وحاولوا أن يجدوا حلاً لها، فأوجدوا اثنا عشر رجلاً يوصلون الرسول ﷺ باثنا عشر جيلاً من الأمة، والبداية من عند سيدنا علي عليه السلام وتنتهي بالإمام المهدي...

لكن بقي حلهم حلاً ناقصاً، في ميزان العلم والعقل السليم؛ وذلك لعدة أمور:

أولاً: لأن الرجل الرابع في هذه السلسلة يوم أن استشهد أبوه لم يكن قد بلغ، والإمام العاشر يوم أن مات أبوه لم يكن إلا صبياً في الثامنة من عمره، والإمام الثاني عشر تولى قيادة الأمة وأمسك زمام أمورها ولم يكن قد تجاوز الخامسة من عمره!

والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف حفظ هؤلاء الصبيان الذين لم يتجاوزوا الثامنة أو الخامسة

من أعمارهم كل هذه الأحاديث؟!

ثانياً: افترض معي - جلاً - أن هذه السلسلة الاثنا عشرية صحيحة؛ ستظهر لنا مشكلة أخرى، وهي: أن علياً عليه السلام - وهو رأس السلسلة - لم يكن مع الرسول صلى الله عليه وآله في كل حالاته، فلم يكن يحفظ كل أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله، ولم يكن يرى كل أعماله - أي مجموع سنة الرسول القولية والفعلية - لينقلها إلى الجيل الثاني. فمثلاً: لا شك أن علياً بعد صلاة العشاء كان يمشي إلى بيته كما كان الرسول صلى الله عليه وآله ينصرف إلى بيته، فلا يرى علي عليه السلام ما يصنعه الرسول صلى الله عليه وآله في بيته من صلاة التهجد، والشؤون المتعلقة بالأسرة و...

فلو قبلنا هذه السلسلة سنجدها سلسلة ناقصة...

فلا تكتمل سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسيرته في الحياة، تلك التي جعلها الله لنا شرعاً ومنهاجاً وأسوة، إلا إذا نقل لنا جميع أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وتلامذته وأهل بيته كل ما رأوه وما سمعوه منه صلى الله عليه وآله. وعندما نرفض الصحابة كلهم فكأننا رفضنا السنة كلها!

هرب علماء الشيعة من هذه المشكلة إلى تصور جديد لم يكن للبشرية عهد به، إذ زعموا بأن الأئمة فوق البشر، وقد هبوا علماءً لدُنْيَا، فلم يكونوا لتعلمه بحاجة إلى المدارس والتعليم أو إلى أسباب أخذ العلم ووسائله، ولا يؤثر العمر في صحة ما نأخذه منهم من الأحاديث، وهكذا صنعوا اعتقاداً جديداً في القرآن الكريم والسنة النبوية لا يسانده شيء من دعائم العلم والعقل، وبذلك فتحوا الباب على مصراعيه لكل من هب ودب ليفتري على الرسول صلى الله عليه وآله، وعلى الأئمة ما شاء.. كيف شاء.. متى شاء.

ولا لوم عليهم، فقد اضطروا إلى طرق هذا الباب، وإلى وضع هذه الطريقة في التفكير، وهذا المنهج في العمل؛ وذلك لأنهم أساءوا إلى الصحابة وحذفوه من الواجهة فسدوا طريقهم إلى الرسول صلى الله عليه وآله، فاضطروا إلى صناعة أسلاك خيالية مزعومة توصلهم إليه صلى الله عليه وآله، وبذلك حاولوا أن يحفظوا لهم صلة بالرسول صلى الله عليه وآله، ولم يجانبهم الحظ في التوفيق فضلوا الطريق!!

أما نحن المؤمنون بالصحابة لم نواجه مشكلة في ذلك؛ إذ نقل إلينا زوجات الرسول صلى الله عليه وآله ورجال الصحابة ونسأؤهم كل حركات الرسول صلى الله عليه وآله وسكناته وكل أحاديثه التي سمعوها منه صلى الله عليه وآله بدقة متناهية تفوق الوصف، فمن باب المثال خذ شخصية واحدة منهم:

تزوج الرسول ﷺ من عائشة رضي الله عنها أول ما بلغت، فقضت عائشة أجمل أيام شبابها في بيت النبوة، ورافقت النبي ﷺ ليل نهار، فكانت لها ذكريات كثيرة نقلتها لنا، ولم يرزقها الله ﷻ ذرية لتتفرغ للرسول ﷺ تماماً، فتحفظ منه كل شيء، وكذلك لم يسمح لها الله ﷻ بالزواج من بعد الرسول ﷺ لإكمال هذه الوظيفة، ولعل الله ﷻ أطال عمرها بعد وفاة الرسول ﷺ لتنشر السنة على أوسع قدر ممكن، فقد عاشت بعد الرسول ﷺ أكثر من نصف قرن من الزمن، وكان الناس يفدون إليها من كل حذب وصوب، يسمعون حديثها عن رسول الله ﷺ ويسألونها عن سيرة نبيهم ﷺ.

لا ننسى أن الله ﷻ منع زينة الدنيا وبريقها عن نساء النبي ﷺ، وهن كذلك زهدن في الدنيا ومتاعها، فكانت السنة النبوية ومدارسها ونشرها همهن الوحيد وشغلن الشاغل. وقس عليها سائر الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-، فكل صحابي كان كالمرأة يعكس زاوية من زوايا حياة المصطفى -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- للأجيال القادمة.

ومن هنا نقلت إلينا صورة كاملة عن حياة الرسول ﷺ لا نجد لها نظيراً في أية أمة من الأمم ولا يعرف لها التاريخ مثلاً يضاهيها، وها نحن نعرف أدق تفاصيل حياته ﷺ، إلى درجة أننا نعرف أن الرسول ﷺ لما كان يدخل المسجد يقدم أي قدميه على الأخرى..

واليوم تتفقه نساء المسلمين على ضوء ما نقلته لنا أم المؤمنين عائشة من تعاليم الرسول ﷺ للمرأة المسلمة، فلا يواجهن أية مشكلة في الحياة. وماذا عسى أن يقول علماء الشيعة في كل ذلك؟ فهم لا يقبلون إلا فاطمة رضي الله عنها، ونعرف جميعاً أن فاطمة أول ما أدركت نفسها انتقلت إلى بيت علي رضي الله عنه، فانشغلت بعش الزوجية عن الرسول ﷺ، وقلت زيارتها ولقائها بالنبى ﷺ في حين أن عائشة كانت ترافق الرسول ﷺ ليلاً ونهاراً.

وقد انتقلت فاطمة الزهراء -رضوان الله عليها- إلى رحمة الله ﷻ بعد ستة أشهر من وفاة الرسول ﷺ، وفي هذه الفترة القصيرة فيما يزعم الشيعة لم يكن لها عمل إلا أن تأخذ بيدي ريجانتي الرسول ﷺ؛ الحسن والحسين رضي الله عنهما وتذهب بعيداً عن أعين الناس للبكاء والعويل، أو تذهب إلى أبي بكر لتطالبه بحقها. فلم تنشغل بتعليم النساء، في حين أن عائشة ظلت نصف قرن

من الزمن بعد الرسول ﷺ، يضرب الناس إليها أكباد الإبل، يتعلمون منها أمور دينهم، ويسألونها عن أدق أمور نبيهم ﷺ.

فعلى أسس العقل والعلم والمنطق السليم؛ إن إنكار الصحابة الذين كانوا صدى لتعاليم النبوة، وكانوا نماذج حية من القرآن المكتوب، يعكسون إلى الأجيال تعاليم السياء التي تلقوها من مدرسة الرسول ﷺ يعني تماماً إنكار القرآن الكريم والسنة النبوية لا غير.

ولا تستطيع تلك القناطر الخيالية وتلك الجسور الموهومة التي تشبه أساطير الأولين أن تحفظ الإسلام بشكل عام، والسنة النبوية بشكل خاص، من تلك الضربة القاتلة التي تصيبها من إنكار الصحابة!

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



١- سوانح الأيام

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البرقي القمي

سيرة ذاتية كتبها المرحوم أبو الفضل البرقي - أحد أعمدة وأعلام المحاربين لخرافات الشيعة وبدعهم في إيران المعاصرة - عن حياته. تنبع أهمية الكتاب الحالي من روايته لتاريخ التحولات السياسية - الدينية في إيران المعاصرة في عهد الحكم البهلوي (رضا شاه ومحمد رضا شاه) وإلى ما بعد الثورة الإيرانية وحتى سنة ١٤١٤ هـ (١٩٩٢ م)، ويحلل ويشرح دور ومواقف علماء الدين الشيعة في الحوادث المختلفة التي عرضت للمجتمع الإيراني ويميط اللثام عن حقائق مجهولة لكثير من القراء؛ بناءً على ذلك، فإن كتاب «سوانح الأيام» إضافة إلى كونه شرحاً شخصياً لحياة العلامة البرقي، يبين كثيراً من الوقائع التاريخية المكتومة ويكشف النقاب عن حقيقة الحكومة المتظاهرة بالإسلام في إيران. بعد أن يُعرّف المؤلف بنسبه وأسرته، يذكر نبذة عن مرحلة طفولته ودراسته الابتدائية ثم يشرح دراساته الحوزوية. ويواصل كلامه ببيان نشاطاته السياسية والاجتماعية في مرحلة الشباب ويعرفنا بأساتذته في الحوزة ويذكر نصوص إجازات رواية الحديث التي نالها منهم. ومن أقسام الكتاب المهمة بيان لقاءات البرقي وحواراته مع كثير من علماء الشيعة المرموقين في إيران ومكاتبته مع كثير منهم - بما في ذلك الخميني والحامني - التي غطت جزءاً كبيراً من الكتاب، في حين تغطي الفصول الأخيرة منه طريقة تعامل الحكومة الإيرانية مع المؤلف وبيان الأذى الذي تعرض له على أيدي رجال الحكم وحوادث السجن والاعتقال الفاشل التي تعرض لها.



٢- عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البرقي القمي

بحثٌ جامعٌ حول أحاديث كتاب (أصول الكافي)، وبيان تعارضها مع القرآن الكريم وسنة النبي الأكرم عليه السلام ومناقضتها لمعايير العقل والمنطق. اعتبر المؤلف أن متون كثيرٍ من أخبار أصول الكافي مخالفةٌ للعقل وللقرآن. وبين في المقدمة المفصلة إلى حد ما للكتاب الدلائل على رجحان القرآن وحجتيه مقارنةً بالسنة والروايات مستفيداً في ذلك من المصادر الشيعية الأساسية. في بداية الكتاب، بين المؤلف باختصار طريقة تدوين أحاديث الشيعة وأسباب نفوذ الأحاديث الموضوعية في كتبهم وكيفية انتشارها في تلك الكتب وتأثيرها في بناء الفكر الشيعي، كما بين الدوافع والعوامل التي ساعدت على اتساع هذا الأمر. ثم بدأ المؤلف بدراسة أحاديث كل باب من أبواب أصول الكافي على حدة وعقد ١٨٢ فصلاً مخصّصاً في كل فصل الأحاديث الواردة فيه مبيناً الأحاديث الموضوعية منها بذكر الدلائل على كونها موضوعية من القرآن والسنة النبوية وروايات أئمة الشيعة ومن حال رواة أسانيد تلك الأحاديث. إن هذا الكتاب إلى جانب كتابي (صحيح الكافي) لمحمد باقر البهبودي من أهم الكتب التي ألفت في تنقية كتاب أصول الكافي للكثيبي وتنقيحه وتصفيته من الأخبار الموضوعية وغير الصحيحة.



٣- تعارض «مفاتيح الجنان» مع القرآن

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البرقي القمي

الكتابُ دراسةٌ وتحليلٌ لأدعيةِ كتاب "مفاتيح الجنان" تأليف الشيخ عباس القمي ومقارنتها بقيم الإسلام وحقائقه. يبتدئ المؤلف كتابه بالتعريف بقاعدة (التسامح في أدلة السنن) ورواية (مَنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنَ التَّوَابِ عَلَى (شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ) فَعَمِلَهُ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَقُلْهُ). وينقد تلك القاعدة والرواية ويبطلهما. ثم يشرح حالة الشيخ عباس القمي ويبين دوافعه لتأليف كتاب مفاتيح الجنان ثم يبدأ بتحليل وتمحيص أدعية هذا الكتاب واحدًا واحدًا وينتقد الأدعية التي تتعارض مع الأفكار والعقائد الإسلامية الأصيلة. يعتبر المؤلف - استناداً إلى دلائل متعددة- أن دعاء كميل ودعاء العشرات ودعاء السمات تحتوي على عبارات صوفية وأنها تنشر العقائد الفكرية لمدرسة الصوفية. ثم يقوم المؤلف بنقد الأدعية الناقصة والمعيوبة ويذكر في هذا المجال: أدعية المشلول ويستشير والعدلية والجوشن الكبير والجوشن الصغير والقاموس. ثم يعقد المؤلف فصلاً آخر يستعرض فيه ثمان شبهات مهمة في توحيد العبادة ويرد عليها. ثم يُمحّص المؤلف دعاء التوسل وحرز الإمام زين العابدين ومناجاة أمير المؤمنين. ويتابع المؤلف بحثه بتمحيص فصولٍ أخرى من كتاب مفاتيح الجنان التي تتعارض مع القرآن الكريم وتعاليم الإسلام الأصلية.



٤- دراسة علمية لأحاديث المهدي

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البرقي القمي

الكتاب بحث علمي في الأخبار والأحاديث المروية حول المهدي - إمام الشيعة الثاني عشر- وفحص وتمحيص صحتها وسقمها. يسعى المؤلف في هذا الكتاب إلى فحص عقيدة وجود إمام الزمان (المهدي المنتظر) وتمحيصها بالاستناد إلى الآيات القرآنية والروايات التاريخية والأحاديث المنسوبة إلى أئمة الشيعة. يورد المؤلف في بداية كتابه مقالةً مستقلة قصيرة كتبها أحد زملائه في الفكر والعقيدة (دون ذكر اسمه) كي يتمكن القارئ من خلال ذلك من إدراك مضامين الكتاب والاطلاع على هدفه الكلي. يختص الفصل الأول من الكتاب بدراسة الروايات الشيعية حول إمام الزمان (المهدي) وولادته وحياته. وفي الفصل التالي يبحث المؤلف مسألة الرجعة كما وكيفاً وما سيقع خلالها من حوادث طبقاً لما يعتقد به الشيعة والتي ستقع بعد ظهور المهدي طبقاً لعقيدة الشيعة. وبعد أن ينقل المؤلف كل رواية حول المهدي المنتظر يعقبها ببيان معارضتها لمعايير العقل والمنطق ويثبت تعارضها مع القرآن الكريم ومع أحاديث النبي ﷺ وأهل بيته. وفي الفصل التالي يشرح المؤلف آيات القرآن التي يستند إليها مدَّعو وجود المهدي ويفسرها. ثم ينقل الروايات التي تتنبأ بالحوادث المستقبلية التي ستقع بعد وفاة المهدي. ويتابع المؤلف بحثه بدراسة أحاديث أهل السنة حول المهدي. ولما كانت أهم الأخبار والأحاديث الواردة حول المهدي قد جاءت في كتاب بحار الأنوار للمجلسي؛ قام المؤلف بدراسة وتمحيص تلك الأحاديث الواردة في ٣٢ باباً من أبواب بحار الأنوار حديثاً حديثاً، وناقش تلك الأحاديث وأثبت سقمها وضعفها جميعاً.



ه- الخرافات الوافرة في زيارات القبور

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرْقَعِي القَمِّي

يدرس المؤلف في هذا الكتاب نظرة الإسلام والقرآن إلى موضوع زيارة القبور ويزن زيارات القبور بميزان العقل ومعاييره. يبتدئ الكتاب بطرح مجموعة من الأسئلة حول المكان الذي تذهب إليه أرواح الأنبياء والأولياء بعد وفاتهم، وهل يطلعون على زيارة زوار قبورهم. وضمن إجابته المدللة على هذه الأسئلة يبحث المؤلف مدى مشروعية بناء القباب والأضرحة على القبور وينقل الأحاديث والروايات الواردة عن أئمة الشيعة في هذا المجال. ثم يطرح في الفصول التالية من الكتاب، الروايات التي يرويها الشيعة حول زيارة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وحضرة الزهراء عليها السلام وأئمة البقيع وحضرة علي عليه السلام ويفند تلك الروايات ويدحض الاحتجاج بها. ثم يمحص نصوص الزيارات التي نُقِلت عن بعض كبار علماء الشيعة أمثال الشيخ المفيد وصفوان وابن طاووس وجابر الجعفي والكفعمي والسيد مرتضى... ويبين تناقض متونها ومعارضتها للعقل والدين، وفي ختام الكتاب يعدد المؤلف الأضرار والمفاسد الدينية والاجتماعية التي نجمت عن انتشار خرافة زيارات القبور في مجتمع الشيعة وشيوعها.



٦- طريق الاتحاد (دراسة وتمحيص نصوص الإمامة)

حيدر علي قلمداران القميّ

بحث جامع في تمحيص النصوص والمتون الدينية المعتبرة (القرآن والأحاديث والروايات) المتعلقة بمسألة الإمامة ونقدها وتحليلها. يُعدُّ هذا الكتاب من أهم المؤلفات التي كُتبت باللغة الفارسية في مجال نقد مفهوم الإمامة الشيعي. يذكر المؤلف تلك الآيات القرآنية التي يستدل بها الشيعة على حقّية سلسلة الإمامة المنصوصة حسب عقيدتهم، ويفسر تلك الآيات ويشرحها، وكما يفحص الأحاديث والأخبار التي وصلتنا عن الرسول الأكرم ﷺ والصحابة الكرام ﷺ وأئمة الشيعة حول هذا الموضوع متناً وسنداً بكل دقة وبعد أن يفصل ويميّز الأخبار الشاذة والكاذبة (التي تشكل الجزء الأعظم من هذه الروايات) من الأخبار الصحيحة، يبين مفهوم تلك الأخبار ومصداقها الحقيقي واحداً واحداً. وبعد أن يبين المؤلف في بداية كتابه الأسباب والعلل الأساسية لاختلاف أمة الإسلام وجذور افتراق أبنائها بعضهم عن بعض يبحث في حادثة سقيفة بني ساعدة والمفاوضات والنقاشات التي دارت فيها مبيناً خلال ذلك كيفية مبايعة حضرة عليّ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وينقل لنا روايات الشيعة حول هذا الموضوع. وفي الفصل التالي يبحث واقعة غدير خم وحققيتها. يدور الكلام في هذا الفصل حول شرح واقعة الغدير والدافع الذي دعا نبيّ الله إلى إلقاء خطبة الغدير المشهورة ونقد ما يستنبطه الشيعة منها. وفي الفصل التالي ينقل المؤلف لنا حادثة سقيفة بني ساعدة كما يرويها الطبرسي في كتاب «الاحتجاج»، ويبين لنا كيف أن الحب والبغض المذهبيين شوها الحقيقة وقلباها رأساً على عقب. ثم يذكر المؤلف عشرة أحاديث شيعية مهمة يستند إليها الشيعة لإثبات عقيدتهم في الإمامة ويحللها ويمحصها سنداً وامتناً بكل دقة. ثم يبين دوافع ثورات السادة العلويين زمن الأمويين وأقوال أئمة الشيعة الصريحة حول الخلافة ودلائلها التاريخية التي تدل جميعها على عدم وجود نص بشأن الإمامة. وهذا هو موضوع الفصل التالي من الكتاب. في الختام يعرفنا المؤلف بفرق الشيعة المتعددة التي ظهرت بعد وفاة كل واحد من الأئمة ويشرح لنا عقائد كل فرقة من هذه الفرق.



٧- طريق النجاة من شر الغلاة

حيدر علي قلمداران الثمّي

كتاب مفصل مبسوط يُبيّن أكثر الخرافات وأقوال الغلاة الشائعة بين الشيعة وينقدها وَيَرُدُّ عليها. يبتدئ المؤلف كتابه ببحث علم الغيب ويثبت أن هذا العلم مختص بالله تعالى وحده، ويشير في هذا الصدد إلى الروايات الشيعية المتعددة التي تنفي علم الغيب عن الأئمة. ثم يتعرض إلى رسالة «سهو النبي» للشيخ محمد تقي الشوشتری ويستند إليها في هذا المجال. أما الفصل التالي فخصصه المؤلف لبحث الولاية وحقيقتها. في هذا الفصل ينقل المؤلف ادعاء الشيعة حول ولاية أمر علي وأبنائه ويستند إلى عدد من آيات القرآن وأقوال الأئمة أنفسهم للرد على هذه العقيدة وتفنيدها. ثم يتابع المؤلف كتابه بفصل يبحث فيه حقيقة الشفاعة؛ فيبين في بداية هذا الفصل مفهوم الشفاعة في القرآن الكريم، ثم يحلل القراءة الشيعية للشفاعة وتأثيرها السلبي في عقائد الشيعة. وفي الفصل التالي يبين المؤلف كيفية انتشار هذه الخرافة في مذهب الشيعة ويبين المسيرة التاريخية لكتب الغلاة وعقائدهم. وفي الفصل التالي يبحث المؤلف بشكل مفصّل موضوع زيارات القبور والخرافات التي انتشرت حولها، فيبين في بداية هذا الفصل الدلائل العقلية والتاريخية على نفي زيارة القبور من قبل الرسول الأكرم ﷺ وأئمة الشيعة. ثم يبين علة اهتمام الشيعة بزيارات القبور ويعدد الدلائل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أدت إلى شيوع هذا الطقس الخرافي في المجتمعات الشيعية. ومن مباحث هذا الكتاب الأخرى بيان تعارض أحاديث الزيارة مع القرآن الكريم وتمحيص أسانيد تلك الأحاديث وبيان حكم تعمير القبور في الإسلام. ويختص الفصل النهائي من الكتاب بنظرة عامة إلى ظاهرة الغلو وآفاتها وخبائثها الاجتماعية والدينية.



٨- الخُمس

حيدر علي قلمداران القمِّي

بحثٌ جامع ومبسوط حللَ فيه المؤلف الأُسس الشرعية والمنطقية للخُمس في الفكر الاقتصادي للإسلام ومَحَص هذه الأُسس وفحص صحتها وبَيَّن الحُكم الصحيح بشأنها. يُعدُّ هذا الكتاب أشمل تأليف مستقل كُتِبَ في عالم الإسلام حتى اليوم في نقد موضوع الخُمس بالمفهوم الشيعي، وقد أُلِّفَ بهدف دراسة أهمِّ أحاديث الشيعة ومستنداتهم حول إيجاب أداء الخُمس وتمحيصها ونقدها. يهدف المؤلف في كتابه إلى تنقية الخمس من الزوائد والإضافات التي أضافها بعض علماء الشيعة إليه، وعلى حدِّ قوله: (جعلوا الخمس وسيلة مطمئنة للاسترزاق وملء جيوبهم). بعد تحليله العميق والدقيق للآية ٤١ من سورة الأنفال التي نزلت بشأن غنائم الحرب، يشرح المؤلف موقف سنَّة نبي الإسلام الكريم ﷺ والأئمة من هذا الموضوع بشكل مفصَّل. بدأ المؤلف كتابه بدراسة مستند الخُمس في القرآن الكريم، وبعد أن أوضح استخدامات الخُمس وموارده في المجتمع الإسلامي، قام بدراسة أحاديث الخُمس التي حصرته برسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام فقط. ثم واصل المؤلف بحثه ببيان الأمور التي يشملها الخُمس وقام بدراسة منطقية وعقلية للأحاديث التي نصت على وجوب الخمس، وبعد أن قارن تلك الأحاديث بالقرآن الكريم وسنة الرسول الأكرم ﷺ، قام بدراسة دقيقة لرواة أسانيد تلك الأحاديث واحداً واحداً. بعد ذلك أورد المؤلف الأخبار التي تبين أن الأئمة وهبوا الخُمس لشيعتهم، وقام بتحليل هذه الروايات، وفي الختام فحص المؤلف مصارف الخمس وسهم الإمام في زمن الغيبة. ثم نقل المؤلف فتاوى علماء الشيعة الكبار في موضوع دفع الخمس أمثال الشيخ الإسكافي، وابن الجُنَيْد، والشهيد الثاني، والمحقق السبزواري، وابن عقيل،

والشيخ الصدوق، والشيخ الطوسي، والمقدس الأردبيلي، والمحقق الثاني، والقطيفي،
والملا محسن فيض الكاشاني، والشيخ الحر العاملي، والشيخ يوسف البحراني،
وشمس الدين العاملي، والشيخ باقر النجفي (صاحب الجواهر)، وآخرين أجمعوا كلهم على
إسقاط خمس أرباح المكاسب عن الشيعة في زمن الغيبة، ولأجل هذا الغرض استعرض
المؤلف أقوال أولئك العلماء وفتاواهم واحداً واحداً. ويتضمن الجزء الأخير من الكتاب
مجموع إجابات المؤلف على الردود التي ألفها كل من ناصر مكارم الشيرازي، ورضا
استادي أصفهاني، وسيد حسن إمامي أصفهاني على كتابه الخمس، وقد أضيفت هذه
الإجابات إلى النسخة الجديدة المنقحة لكتاب الخمس.



٩- رَدُّ قُرُونِيٍّ عَلَى السَّيِّدِ الْمَحَلَّاتِيِّ

حيدر علي قلمداران القمي

قام مؤلف هذا الكتاب بدراسة استدلالات وادعاءات ذبيح الله محلاتي التي ذكرها في كتابه «رَدُّ عَلَى الْمُنَاقَشَاتِ بِشَأْنِ خُطْبَةِ الْغَدِيرِ وَوُجُوبِ خَمْسِ أَرْبَاحِ الْمَكَاسِبِ وَمَسْأَلَةِ الشَّفَاعَةِ»، وتمحيصها، وتفنيدها والردّ عليها. وقد كان المحلاتي ألف كتابه الأخير للرد على مقالة بعنوان «رد خطبة الغدير» كان السيد أبو الفضل البرقي قد كتبها ونشرها في مجلة «رنكين كمان» [قوس قرح]. ولما كان السيد محلاتي قد ألف كتابه على شكل أسئلة افتراضية والإجابة عنها، اتخذ مؤلف هذه الرسالة نهجاً مشابهاً وبين إجاباته عن أسئلة السيد المحلاتي واعتراضاته. في بداية الرسالة، بيّن المؤلف قصة الغدير وما وقع فيها وذكر دلائل تثبت أنه لا يمكن أن يكون قصد الرسول الأكرم ﷺ من تلك الواقعة هو النص على خلافة علي رضي الله عنه للنبي ﷺ في الحكم والرئاسة. وقسم المؤلف أدلته إلى أربعة أقسام هي: الأدلة العقلية والأدلة النقلية والأدلة الوجدانية والأدلة التاريخية. ثم قام المؤلف ببحث مفصل في سند حديث الغدير الطويل وعنوانه ب (السند الفاضح لحديث الغدير) حيث مَحَّص رجال السند أي رواة حديث الغدير بالاستناد إلى مصادر كتب الرجال الشيعية المهمة مُبَيِّنًا حال أولئك الرواة ومدى ثقتهم وإمكانية الاعتماد على روايتهم ليصل بالنتيجة إلى أن أكثر أقسام حديث الغدير الطويل موضوعة مختلقة، وبالتالي فالنتائج والمفاهيم المستنبطة منها باطلة.



١٠- قبس من القرآن

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرْقَعِي القَمِّي

أصل الكتاب، ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره باللغة الفارسية باسم «تابشي از قرآن»، فترجم إلى العربية باسم «قبس من القرآن». هدف المؤلف من كتابه المذكور الذي يقع في أربعة مجلدات بيان مفاهيم آيات القرآن وشرح رسالته الهادية بعيداً عن العصبية المذهبية وأهواء الفرق. يُقدّم المؤلف في المجلد الأول من كتابه ضمن مقدمة مفصلة مبسّطة شملت نصف حجم المجلد الأول معلومات وفوائد جامعة حول أهم مباحث علوم القرآن كي يتعرف القارئ غير المتخصص، إلى حد ما، على المفاهيم والمصطلحات القرآنية الخاصة، ومن جملتها مباحث من علوم القرآن مثل: طريقة تدوين القرآن، القراءات المختلفة، دوافع وكيفية تدوين القرآن في زمن عثمان رضي الله عنه، تحريف القرآن، المحكم والمتشابه، إعجاز القرآن وأنواعه، خصائص نص القرآن الفريدة، وغير ذلك من الأبحاث. طريقة المؤلف في تفسيره، هي الابتعاد عن استخدام اصطلاحات العلوم والفنون، ونتيجة لذلك فإن القارئ يواجه نصاً سلساً وبسيطاً ومفهوماً بيسر. بعد أن يذكر المؤلف المعنى العام للآية الكريمة يقوم بتوضيح معاني المفردات الواردة فيها - لاسيما المفردات ذات الوجوه المتعددة أو المفردات التي تحتاج إلى تعريف وتوضيح خاص - فيقوم بتفسيرها، مما يساعد القارئ على إدراك مفهوم كل آية ورسالتها.

يتضمن المجلد الأول من هذا التفسير تفسير سورة الفاتحة حتى النساء، ويتضمن المجلد الثاني تفسير سورة المائدة حتى سورة يوسف، والمجلد الثالث يواصل تفسير سورة يوسف حتى سورة فاطر، في حين يتضمن المجلد الرابع تفسير سورة يس حتى سورة الناس.



١١- نقد المراجعات

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البرقي القمي

يتضمن الكتاب نقد ادعاءات السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه «المراجعات» وتمحيصها. لقد أُلّف كتاب «المراجعات» بهدف مناقشة عقيدة أهل السنة (في موضوع الإمامة) ونقدها، فقام البرقي في هذا الكتاب بالرد على بيانات شرف الدين مستنداً في ذلك إلى آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية والروايات المنقولة عن أئمة الشيعة. يبتدئ الكتاب بطرح مفهومي السنة والتشيع ثم يستعرض اتجاه الكليني المذهبي -بوصفه من أهم محدثي الشيعة- تجاه الحديث وتدوينه. ثم يشرح منهج الباطنية في تفسير القرآن وتأثير هذا النهج في استنباط المفاهيم الحديثية. ثم يبحث المؤلف موضوع ادعاء علم الأئمة بالغيب ويثبت بطلان هذه العقيدة مستنداً في ذلك إلى الروايات الشيعية ذاتها. وفي ختام الكتاب، يبين المؤلف أسباب نزول آية التطهير وآية المباحلة وآية المودة في فكر الأئمة ولدى مفسري الشيعة.



١٢- كيف اهتديت؟ ولادة جديدة واختيار جديد

حجة الإسلام والمسلمين مرتضى رادمهر

الكتابُ سيرةً ذاتيةً كتبها «مرتضى راد مهر» - من علماء الدين الشيعة المعاصرين - شرح فيها عِللَ هدايته إلى مذهب أهل السنة وما لاقاه في هذا الطريق من مصائب ومشكلات. كان المؤلف من الطلاب البارزين في الحوزة العلمية في قم. يشرح في كتابه، الدوافع التي دفعته إلى ترك الأفكار الشيعة الخرافية والاتّجاه إلى مذهب أهل السنة، ويعرّف القراءَ خلال بيانه لهذا الأمر بالأسس الفكرية لأهل السنة ونقاط اختلافها مع عقائد الشيعة. كما يتضمن الكتاب بياناً للحوادث التي تعرض لها في حياته عندما كان طالباً للعلوم الدينية وشرحاً لمناظراته واحتجاجاته مع علماء أهل السنة وكيف كانوا يجيبون عن أسئلة الشيعة وشبهاتهم حول أهل السنة؛ ولذلك فالكتاب ليس مجرد سيرة حياة ذاتية بل هو درسٌ عقائديٌّ حول أفكار أهل السنة وعقائدهم. في بداية الكتاب، يشرح المؤلف باختصار حال أسرته ومرحلة طفولته والأسباب التي دعت به إلى التحاق بالحوزة العلمية والجامعة. ثم في الفصل التالي يتكلم عن سفره إلى بلوشستان وتعرفه على مولانا (الزعيم الروحي والعقائدي لأهل السنة في تلك المنطقة). ويشرح كيف التقى فيه وتحدث معه. ثم يبين سفره إلى الحج وزيارته لمدينة السلمانية في العراق وزيارته لسوريا وتأثير تلك الأسفار عليه. في الفصول الختامية للكتاب يبين المؤلف التحولات الروحية العميقة التي عرضت له واعتقاله المتكرر من قبل المخابرات الإيرانية وتعاملهم السيء معه وأنواع التعذيب الشديدة والرهيبة التي تعرض لها في السجن. تتضمن الفصول النهائية للكتاب شرحاً لآخر أيام حياة رادمهر بقلم شخصٍ آخر، لأن المؤلف كان قد توفي بسبب العلل الجسيمة الناجمة عن التعذيب التي تعرض له على أيدي المخابرات في بلاده.



١٣- مفتاح فهم القرآن

شريعة سنجلجى

بياناً لطرق تدبر القرآن وكيفية فهمه وكيفية استخراج الفوائد والأحكام من آياته. يشير المؤلف في بداية كتابه إلى أن رسالة الإسلام رسالة عامة لجميع الخلق. وكذلك تعاليم الإسلام موجهة لعامة البشر. ويعتبر أن القرآن الكريم كتابٌ يخاطب عامة البشر ولا ينحصر فهم معانيه ورسالته بجماعة خاصة، ويسعى في بيان أصول فهم القرآن بلغة ميسرة بسيطة. ولأجل هذا الغرض، يبين في بداية الكتاب المفاهيم الأساسية الضرورية لفهم آيات القرآن ويقدم توضيحاً مختصراً حول كل واحد من تلك المفاهيم؛ ومنها: الظاهر والباطن، المحكم والمتشابه، التفسير بالرأي الممدوح والتفسير بالرأي المذموم، الضروريات والناسخ والمنسوخ. ويواصل المؤلف فصول كتابه يبحث أنواع القَسَم في القرآن ومفاهيمه ثم يبحث فواتح السور وأمثال القرآن. ثم يبحث طرق استدلال القرآن وماهية الوحي وكيفيته. ثم يتعرض المؤلف إلى بيان مناهج الفرق والنحل الفكرية المختلفة مثل السفسطائيين والحسيين والتجريبيين والصوفية في فهم القرآن وتفسيره. وأخيراً يستعرض المؤلف موقف القرآن وتعاليمه حول النبوة والقيامة والمعاد.



١٤- الدعاء

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرْقَعِي القَمِّي

تحليل لمفهوم الدعاء في الإسلام وبيان شروط الأدعية التوحيدية وكيفية التمييز بينها وبين الأدعية الشركية والباطلة. يُمَحِّص المؤلف في هذا الكتاب بعض أهم كتب الأدعية الشيعية ويبين علة انحراف مضامينها. ويسعى بالاستناد إلى آيات القرآن الكريم والأحاديث الموثوقة إلى بيان الأضرار التي ألحقها الأدعية المخترعة والمُضِلَّة في الفرد والمجتمع. ثم يطرح المؤلف بعض الشبهات والأسئلة الشائعة حول الدعاء والتوسل ويرد عليها ردًا مدللًا مبرهنًا.



١٥- منهاج السنة في رد أهل البدعة

تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية

الشرح والتعليق: آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البرقي القمي

الكتاب ترجمة إلى الفارسية لكتاب «المنتقى» تأليف محمد بن عثمان الذهبي. وكتاب المنتقى اختصار لكتاب «منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة والقدرية» تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحرّانيّ الدمشقيّ الذي ألفه في الرد على أفكار الشيعة وعقائدهم الباطلة. طريقة المؤلف في هذا الكتاب هي الابتداء بنقل عقائد الشيعة حول الإمامة والخلافة ثم تفنيد هذه العقائد بالاستناد إلى آيات القرآن الكريم وكلام نبي الإسلام الكريم ﷺ وإلى المنطق والعقل السليم. في هذا الصدد ذكر المؤلف الدلائل التي ساقها العلامة الحلي لإثبات لزوم زعامة عليّ ﷺ للمسلمين بعد رحلة النبي ﷺ وأنه أولى بخلافة النبي ﷺ من سائر الصحابة ﷺ، لإثبات إمامة علي ﷺ في القرآن الكريم ثم قام بالإجابة عن هذه الأدلة واحداً واحداً بشكل مفصل مبيناً ضعفها وتهافتها. وأما مترجم الكتاب إلى الفارسية، آية الله البرقي، فقد علّق وشرح بعض الموضوعات في هامش الكتاب للرد على عقائد الشيعة الإمامية، مما زاد ذلك في أهمية الكتاب.



١٦- تأمل في آية التطهير آية الله العظمى نعمت الله صالحى نجف آبادي

شرح وتفسير لآية التطهير ودراسة وتمحيص لما يقوله الشيعة بشأن من تنطبق عليهم هذه الآية والرد على قولهم هذا. من المعلوم أن الآية ٣٣ من سورة الأحزاب المشهورة بآية التطهير إحدى أهم الآيات القرآنية التي يستند إليها الشيعة لإثبات عقيدتهم بعصمة أهل البيت. يسعى المؤلف في هذا الكتاب إلى بيان الوقائع التي أدت إلى نزول هذه الآية. ولأجل إثبات كلامه في هذا المجال يفحص المؤلف بكل دقة الآيات التي جاءت قبل هذه الآية وبعدها ويبين ترابط الآيات ووحدتها في بيان رسالة واحدة للقارئ، وبهذه الاستدلالات المختصرة والمنطقية يبطل إدعاء الشيعة حول هذه الآية.



١٧- التناقضات في العقيدة

محمد باقر سجودي

الكتاب تحليلٌ ودراسةٌ تاريخيةٌ للوقائع التي حدثت بعد رحلة النبي ﷺ وأدت إلى وصول الخلفاء الثلاثة إلى منصب الخلافة وزعامة المسلمين. ليس هدف المؤلف من هذه الرسالة إهانة عقائد الشيعة بل مساعدتهم في إدراك حقانية الصحابة ومعرفتهم معرفة صحيحة. في بداية الكتاب عدّد المؤلف الدلائل التي دعت الرسول الأكرم ﷺ إلى تجنب تعيين وصي له. وتابع المؤلف بحثه بذكر الآيات القرآنية التي نزلت في الشئاء على الصحابة ﷺ وبيان عظيم منزلتهم وقام بتفسير هذه الآيات. وذكر المؤلف الخصائص والمزايا التي بينها الله تعالى في وصفه للصحابة للنبي ﷺ وجعل تلك الخصائص في ١٣ مجموعة شرحها واحدة واحدة. ثم عرّف في الفصل التالي بالمنافقين وبين صفاتهم استناداً إلى آيات القرآن الكريم. ومن موضوعات الكتاب الأخرى دراسة وتحليل أسباب الاختلاف بين الصحابة ﷺ ومحبي أهل النبي ﷺ وخصائصهم وتحليل واقعة الإفك وسلوك النبي ﷺ مع بناته.



١٨- توحيد العبادة

شريعة سنكلجي

يبين الكتاب قواعد ومعايير التوحيد في الإسلام ويشرح العقائد الخرافية الشركية ويعرفها للقراء. يتدئ المؤلف كتابه بطرح أصل التوحيد ومعناه ومصاديقه. ثم يقوم ببيان مفهوم العبودية وشروط تحققها ويشرح العبودية العامة والخاصة ويتابع كتابه ببيان معنى الشرك والأعمال والأفكار الشركية التي وجدت طريقها لآداب المسلمين ومناسكهم ولاسيما الشيعة منهم. ويقسم الشرك إلى نوعين: الشرك الأكبر والشرك الأصغر؛ ويبين مصاديق كل منهما. ومن جملة مباحث هذا الفصل من الكتاب بحث التبرك، وذبح الأضاحي لغير الله والتوسل لغير الله والرياء والشفاعة. في الفصل التالي يبين المؤلف معنى قانون السببية وحقيقته وخطأ العوام في فهمه ثم يقوم بتحليل طقوس زيارة قبور عظماء الدين كالنبي ﷺ والأئمة بوصفها نماذج شركية لهذا الفهم السيئ لقانون السببية. ويختص الفصل النهائي للكتاب ببيان الأسباب التاريخية والاجتماعية لظهور عبادة الأصنام وشيوع الشرك والخرافة في الإسلام.



١٩- الخلافة والإمامة

حيدر علي قلمداران القمي

طرحُ لأسئلةٍ أساسيةٍ حول عقائد الشيعة بشأن إمامة الأئمة وخلافة صحابة نبي الإسلام الأجلاء. يطرح المؤلف في هذا الكتاب مسائل مهمة حول أمر الخلافة والإمامة مستعيناً بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والتابعين الأجلاء، ويدعو الشيعة إلى التفكّر فيها وتأمّلها بإنصاف. في بداية الكتاب يبحث المؤلف موقف حضرة عليٍّ عليه السلام من مسألة انتخاب الخلفاء الثلاثة عليهم السلام الذين سبقوه وينقل لنا خطب الإمام علي ورسائله التي تدل على رضاه عن ذلك. ثم يتعرض المؤلف إلى موضوع ذكر أسماء الأئمة الشيعة في القرآن ويذكر تفسير الآيات التي يستند إليها الشيعة في ادعائهم ويثبت خطأ استنباطهم لعقيدتهم من تلك الآيات. في هذا الفصل وبعد أن يذكر المؤلف أدلة عديدة من القرآن الكريم ينقل لنا روايات متعددة عن الأئمة أنفسهم حول عدم عصمتهم من الخطأ والزلل.



٢٠- العقيدة الإسلامية

تأليف: الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب

الشرح والتعليق: آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البرقي القمي

الكتاب بيان للعقائد الإسلامية الأصيلة استناداً إلى آيات القرآن الكريم النورانية وأحاديث نبي الرحمة والمغفرة - محمد المصطفى ﷺ - الشريفة. يشير المترجم في مقدمته على الكتاب إلى العداء الأعمى والجاهل للشيعنة - خاصة في إيران - تجاه الموحدين في شبه الجزيرة العربية الذين يُعرفون في إيران باسم الوهابيين. الدافع الأصلي الذي دعا المؤلف إلى ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية هو رغبته في الدفاع عن المنهج الفكري والعقائدي للموحدين في شبه الجزيرة العربية ومعرفة عقائد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - مصلح الحجاز الديني في القرن الثاني عشر الهجري - وتعاليمه من خلال مؤلفاته. يُعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب المؤلفة في بيان العقيدة الإسلامية الأصيلة في أسلوب سهل وميسر مما يجعله نبراساً للمسلمين الأحرار الذين يعتبرون كتاب الله وسنة رسوله المطهرة كافيين ووافيين للهداية ونيل السعادة الأبدية وينحازون بعيداً عن كل تعصب إلى تعاليم الإسلام الأصيلة. يشتمل هذا الكتاب على ثلاثة رسائل لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله: في الرسالة الأولى بيان لأسس التوحيد ومعرفة الله سبحانه وتعالى، وكيفية معرفة النبي ﷺ، والآثار الدينية لذلك التوحيد والمعرفة الصحيحة في المجتمع وواجبات المؤمنين تجاه الله تعالى ورسوله. وفي الرسالة الثانية، يشرح المؤلف معايير تمييز الحق من الباطل في اتباع الدين الحنيف، وفي الرسالة الثالثة يطرح المؤلف الشبهات التي يوردها المغرضون والمشركون على الإسلام وأفكاره التوحيدية ويرد عليها رداً مُدلاً. وأما المترجم آية الله البرقي رحمته الله، فقد علق على الهامش بتعليقات علمية نافعة. جرى الله تعالى المؤلف والمترجم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.